سورة الأنعام
مكية وآياتها خمس وستون ومائة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

اللغـة :

(جعل) : تكون بمعنى أنشأ وأحدث فتنصب مفعولاً واحداً ، وتكون بمعنى صيّر فتتعدى الى مفعولين . وقال ابن جنّي في الخصائص : « إن العرب قد تتسع فتوقع أحد الفعلين موقع الآخر إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر » . والفرق بين الجعل والخلق دقيق يلتقطه الخاطر المرهف ، وهو أن الخلق فيه معنى التقدير ، والجعل فيه معنى التضمين ، كإنشاء شيء من شيء ، أو تصيير شيء شيئاً ، أو نقله من مكان الى مكان آخر .

(يمترون) يشكّون ، والامتراء الشك ، وفعله : مرى في الأمر وامترى وتمارى ، وما فيه مرية أي شك ، ومريت الناقة وأمريتها حلبتها فأمْرتْ ، ومن المجاز قرع مروته ، قال أبو ذؤيب الهذلي :

حتى كأني للحوادث مروة　　بصفا المشقّر كل يوم تقرع

وماريته مماراة : جادلته ولاججته ، وتماروا ومعناه المحالبة . كأنّ كل واحد يحلب ما عند صاحبه .

الاعراب :

(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) كلام مستأنف للحث على التفكير والتأمل،والعدول عن الجدل والمماراة. والحمد مبتدأ ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبره ، والذي اسم موصول في محل جر صفة ، وجملة خلق السموات والأرض صلة الموصول والسموات مفعول به وجملة وجعل الظلمات والنور عطف على الجملة الأولى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي والعطف على قوله الحمد لله وما بعده على معنى أن الله خليق بالحمد على ما خلق لأنه خلق ماخلق نعمة للبشر ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته . والذين مبتدأ وكفروا فعل وفاعل والجملة صلة الموصول وبربهم متعلقان بكفروا فيكون يعدلون بمعنى يميلون عنه من العدول ؛ ويجوز أن يتعلقا بيعدلون وقدم الجار والمجرور للفاصلة ويكون يعدلون من العدل وهو التسوية بين الشيئين، أي : ثم الذين كفروا يسوّون بربهم غيره من المخلوقين فيكون المفعول محذوفاً (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده

ثم أنتم تمترون) كلام مستأنف مسوق لإقامة الحجة على امترائهم وهو مبتدأ والذي خبر وجملة خلقكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن طين جار ومجرور متعلقان بخلقكم ، ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وقضى أجلاً فعل ماض ومفعول به ، والجملة عطف على جملة خلقكم ، وأجل الواو استئنافية ، وأجل مبتدأ ، ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لأنه وصف بقوله : « مسمى » ، وعنده ظرف مكان متعلق بمحذوف خبره ، ثم حرف عطف واستبعاد لتراخي الرتبتين ، وأنتم مبتدأ وجملة تمترون خبر .

البلاغة :

في الآيتين فنون متعددة من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ــ ثبوت الديمومة التي يستحقها سبحانه ، وهي ديمومة الحمد له بسبب كونه منعماً ، والكلام خبري أريد به الأمر .

٢ ــ الطباق بين السموات والأرض ، والظلمات والنور ، وإذا تعدد الطباق سمّي مقابلة .

٣ ــ المخالفة في الإفراد والجمع ، فقد أفرد النور وجمع الظلمات ، لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة ، ولها أسباب كثيرة ، ولأن النور من جنس متحد ، وهو النار .

٤ ــ الإظهار في موضع الإضمار : فقد أظهر الضمير فقال : « ربهم » مع أن ذكر الله تقدم ، تفخيماً لجلاله . وهي سنة من سنن العرب في كلامهم ، يعيدون الاسم ظاهراً وإن تقدّم ، دون تعبير عنه

بالضمير ، للدلالة على كمال العناية . وقد تقدم هذا البحث والاستشهاد عليه بمطلع سينية البحتري .

٥ ـ التنكير : فقد ابتدأ بالنكرة ، وهو « أجلٌ » ، وكان الظاهر أن يؤخر المبتدأ ، تقول : عندي كتاب ، ولا تقول كتاب عندي . ولكن الذي أوجب تقديم النكرة تعظيم شأن الأجل المضروب عنده سبحانه ، والمراد به الساعة وتهويل أمرها .

٦ ـ حذف المفعول به لظهوره ، أي : يعدلون به ، أي : يسوون بربهم غيره مما لا يقدر على شيء مما يقدر عليه . وهذه نهاية الحمق ، وغاية الرقاعة .

٧ ـ العطف بثمّ لاستبعاد صدور الشك منهم مع وجود ما يقتضي عدمه .

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) ﴾

الاعراب :

(وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سرَّكم وجهركم ويعلم

ما تكسبون) الكلام مستأنف مسوق للتنبيه على صفات الألوهية التي لا يستحقها غيره . وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ أو هو ضمير الشأن ، والله خبر ، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمعنى اسم الله ، أي : المعبود فيها وفي الأرض جار ومجرور متعلقان أيضاً بمعنى اسم الله . وسيرد في باب الفوائد المزيد من تعليق هذا الجار والمجرور . وجملة يعلم خبر ثان أو حالية ، وسركم مفعول به ، وجهركم عطف على سركم ، وجملة ويعلم عطف على جملة يعلم ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة تكسبون صلة لا محل لها (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف لبيان إصرارهم على الكفر ، والإعراض عن الآيات الباهرة الدّالة على التوحيد . وما نافية ، وتأتيهم فعل مضارع ومفعول به مقدم ، ومن حرف جر زائد ، وآية مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل تأتيهم ، ومن آيات ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية ، وإلا أداة حصر ، وكان واسمها ، وعنها جار ومجرور متعلقان بالخبر « معرضين » وجملة كانوا حالية (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) الفاء الفصيحة ، وقد حرف تحقيق ، وكذبوا فعل وفاعل ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، أي : إذا كانوا معرضين عنها فقد كذبوا بما هو أعظم منها ، وهو الحق . والجملة على كل حال لا محل لها من الاعراب . ولما حينية أو رابطة ، وعلى الأول فهي متعلقة ، وجملة جاءهم في محل جرّ بالإضافة ، وعلى الثاني لا محل لها (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) الفاء عاطفة ، وسوف حرف استقبال ، ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به مقدم ، وأنباء فاعل مؤخر ، وما اسم موصول مضاف اليه ، وجملة كانوا صلة ، والواو اسم كان ، وجملة يستهزئون خبرها ، وبه جار ومجرور متعلقان بيستهزئون .

الفوائـد :

ما اخترناه في تعليق قوله تعالى : « في السموات » هو وجه من اثني عشر وجهاً أوردها المفسرون والمعربون في إعراب هذا التعبير ، وقد اختاره الزّجاج والزمخشريّ وابن عطية وأبو السعود ، كأنه قيل: وهو المعبود فيها ، وقال ابن عطية : هو عندي أفضل الأقوال وأكثرها إحرازاً . لفصاحة اللفظ ، وجزالة المعنى . وفيما يلي بعض الوجوه المستساغة .

١ ـ في السموات : متعلقان بمحذوف صفة لله تعالى ، حذفت لفهم المعنى ، والتقدير : وهو الله المعبود أو المدبر .

٢ ـ الكلام تمّ عند قوله : « وهو الله » ، والجار والمجرور متعلقان بمفعول يعلم وهو : سركم وجهركم فيهما .

٣ ـ متعلقان بيعلم ، وجملة يعلم على هذا الوجه مستأنفة . وتتجاوز بقية الأوجه لأنها لم تستقم معنا .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾

اللغـة :

(مكّن له في الأرض) جعل له مكاناً ومكنته أثبته •

(المدرار) : المغزار ، ومفعال صيغة مبالغة تدل على الكثرة ، كمذكار للمرأة التي كثرت ولادتها للذكور ، ومئناث للتي تلد الإناث •

(قرناً) القرن اسم جمع ، كقوم ورهط • وقد اختلف الناس في القرن حالة إطلاقه على الزمان ، فجمهور أهل اللغة على أنه مائة سنة ، ويطلق على الجماعة من الناس أهل زمان واحد ، كما في الآية ، ويجمع على قرون •

الاعراب :

(ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) الكلام مستأنف مسوق للشروع في توبيخ الذين لا يؤمنون ، لأنهم غمطوا نعمة ربهم ، وكذبوا بالحق لما جاءهم • والهمزة للاستفهام التقريري والتوبيخي في وقت واحد ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويروا فعل مضارع مجزوم بلم ، والرؤية بصرية أو علمية ، وكم خبرية أو استفهامية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا ، وجملة أهلكنا سدت مسد مفعول أو مفعولي الرؤية ، ومن قبلهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ومن الجارة ومجرورها في موضع نصب تمييز كم • (مكنّاهم في الأرض ما لم نمكّن لكم) الجملة في محل جر صفة لقرن ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بسكناهم ، ومكناهم فعل وفاعل ومفعول به ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمكناهم ، و « ما » يجوز أن تكون نكرة تامة بمعنى

شيء في محل نصب مفعول مطلق، أي: شيئاً من التمكين لم نمكنه لكم، فتكون الجملة بعدها في محل نصب صفة ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية أي : مدة تمكنهم أطول من مدة تمكنكم ، وتكون الجلة صفة أيضاً . وقيل : « ما » اسم موصول بمعنى الذي ، ويكون التقدير : التمكين الذي لم نمكن لكم ، فحذف المنعوت وأقيم النعت مقامه ، والجملة بعده صلة ، والضمير العائد على « ما » محذوف ، أي : الذي لم نمكنه لكم ، والأول أسهلها . ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ونمكن فعل مضارع مجزوم بلم ، ولكم متعلقان بنمكن (وأرسلنا السماء عليهم مدراراً) الواو عاطفة ، وأرسلنا السماء فعل وفاعل ومفعول به ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ، ومدراراً حال (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم) عطف أيضاً على ما تقدم ، وجملة تجري من تحتهم في محل نصب مفعول به ثان لجعلنا ، فأهلكناهم الفاء عاطفة ، وأهلكناهم فعل وفاعل ومفعول به ، وبذنوبهم جار ومجرور متعلقان بأهلكناهم (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) عطف أيضاً ، وأنشأنا فعل وفاعل ، ومن بعدهم جار ومجرور متعلقان بأنشأنا ، وقرناً مفعول به ، وآخرين صفة .

البلاغة :

١ ــ الالتفات في قوله : « ما لم نمكن لكم » ، والسياق يقتضي: ما لم نمكن لهم ، لتخصيص المرسل إليهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالمواجهة ، فضلاً عن تطرية نشاط السامع .

٢ ــ المجاز المرسل : في قوله : « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً »،

والعلاقة المحلية ، يريد المطر الكثير ، عبر عنه بالسماء لأنه ينزل منها ، وقد رمق هذا المجاز الشاعر بقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

اللغة :

(قرطاس) القرطاس : ما يكتب فيه ، وكسر القاف فيه أشهر من ضمها . والقرطس : وزن « جعفر » : لغة فيه ، وفي القاموس : « مثلث القاف ، وكجعفر ودرهم : الكاغد ، والكاغد معروف ، بفتح الغين والدال المهملة ، وربما قيل بالذال المعجمة وهو معرّب » وهو المراد هنا ، وله معان أخرى منها الغرض ، وبرد مصريّ ، والجارية البيضاء المديدة القامة ، والناقة الفتية ، والجمع قراطيس .

الاعراب :

(ولو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم) كلام مستأنف مسوق لبيان فرط تعنتهم وتماديهم في المكابرة واللجاج .

ولو شرطية ونزلنا فعل وفاعل ، وعليك جار ومجرور متعلقان بنزلنا ؛ وكتاباً مفعول به ، وفي قرطاس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « كتاباً » ، فلمسوه الفاء عاطفة ، ولمسوه فعل وفاعل ومفعول به ، عطف على نزلنا ، وبأيديهم جار ومجرور متعلقان بلمسوه (لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) اللام واقعة في جواب لو ، وقال الذين فعل وفاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة كفروا لا محل لها لأنهـا صلة الموصول ؛ وإن نافية ، وهذا مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وسحر خبر هذا ، ومبين صفة ، وجملة النفي مقول القول (وقالوا : لولا أنزل عليه ملك) الجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد لجاجتهم وتماديهم في التعنت والمكابرة ، وقالوا فعل وفاعل ، ولولا حرف تحضيض لا تحتاج الى جواب ، وأنزل فعل ماض مبني للمجهول، وعليه جـار ومجرور متعلقان بأنزل ، وملك نائب فاعـل ، وجملـه التحضيض في محل نصب مقول القول (ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون) الجملة مستأنفة مسوقة للردّ عليهم بجوابين على تعنتهم ومكابرتهم . ولو شرطية ، وأنزلنا ملكاً فعل وفاعل ومفعول ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة قضي الأمر لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي لبعد ما بين الأمرين : قضاء الأمر وعدم الإنظار ، أي : إن بعد قضاء الأمر شدة ، أين منها منها ما رأوه ! والمفاجأة بالشدة أصعب من الشدة نفسها . ولا نافية ؛ وينظرون فعـل مضارع مرفوع مبني للمجهول معطوف عـلى قضى الأمر ، والواو نائب فاعل .

البلاغـة :

الإطناب في قوله : « فلمسوه بأيديهـم » ، وإنما ذكر الأيـدي

واللمس لا يكون إلا بها حتى يجتمع لهم إدراك الحاستين : حاسة البصر وحاسة اللمس •

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾

اللغـة :

(يلبسون) : يقال لبس عليه الأمر يلبسه ، بضم الباء في المضارع، لبساً : جعله يلتبس في أمره ، وشبهته وجعله مشكلاً عليه ، وأصله الستر بالثوب •

الاعراب :

(ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم بالجواب الثاني ، ولو شرطية ، وجعلناه فعل وفاعل ومفعول به ، وملكاً مفعول به ثان ، والضمير يعود على النذير الذي اقترحوه ، والمعنى : لو جعلنا ذلك النذير ملكاً لمثلنا ذلك الملك رجلاً لعدم تمكّن الآحاد من رؤية الملك

بزيه وهيكله . واللام رابطة لجواب لو ، وجملة جعلناه رجلاً لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وللبسنا عطف على « لجعلنا » وعليهم متعلقان بلبسنا ، و « ما » يجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي ، أي : لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم أو على غيرهم ، وتكون مفعولاً به ، ويجوز أن تكون مصدرية ، أي : وللبسنا عليهم لبساً مثل ما يلبسون على غيرهم ، فتكون منسبكة بمصدر مفعول مطلق ، وجملة يلبسون لا محل لها على الحالين (ولقد استهزىء برسل من قبلك) كلام مستأنف مسوق لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم ، واللام جواب للقسم المحذوف ، وقد حرف تحقيق ، واستهزىء فعل ماض مبني للمجهول ، وبرسل جار ومجرور متعلقان باستهزىء وقد نابا عن نائب الفاعل ، ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) الفاء عاطفة ، وحاق فعل ماض معطوف على استهزىء ، وبالذين جار ومجرور متعلقان بحاق ، وجملة سخروا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بسخروا ، وما فاعل حاق ، وهي إما موصولة وإما مصدرية ، وكان واسمها ، وجملة يستهزئون خبرها ، وبه جار ومجرور متعلقان بيستهزئون ، والضمير في به يعود على الرسول ، والمعنى أنه حاق بهم عاقبة استهزائهم بالرسول المنتظم في سلك الرسل ، أو على كلمة ما المصدرية أو الموصولية (قل سيروا في الأرض ثم انظروا) كلام مستأنف مسوق للحض على التفكير والسير في الأرض للتأمل في مغاب الأمم السابقة ومصائرها . وجملة سيروا في محل نصب مقول القول ، وأتى بثم للإشارة الى البعد الكامن في السير المؤدي الى الاستبصار والتأمل ، ولأن وجوب السير لم يكن إلا لبلوغ هذه المرتبة السامية التي هي قصارى ما تطمح إليه الهمم العالية ، وفي الأرض

جار ومجرور متعلقان بسيروا ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وانظروا فعل أمر وفاعل (كيف كان عاقبة المكذبين) الجملة في محل نصب مفعول انظروا ، وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان ، وعاقبة اسمها ، ولم تؤنث كان لأن العاقبة مؤنث مجازي ، وقد علقت النظر عن العمل لفظاً ، والمكذبين مضاف إليه .

البلاغة :

١ ـ المجاز المرسل في قوله : « عاقبة المكذبين » ، والعلاقة هي المصير والمآل الذي ينتهي اليه مصير المكذبين ومآلهم .

٢ ـ في قوله : « ولقد استهزىء » الى قوله : « ما كانوا به يستهزئون » فن يسمى رد الاعجاز على الصدور ، وهو عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً ، أو معنوية نادراً ، ما تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام ، وهو ثلاثة أقسام :

١ ـ ما وافق آخر كلمة في الكلام آخر كلمة في صدره أو كانت مجانسة لها ، كقوله تعالى في سورة « النساء » : « أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً » .

٢ ـ ما وافق آخر كلمة من الكلام أول كلمة منه ، كقوله تعالى في سورة « آل عمران » : « وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » .

٣ ـ ما وافق آخر كلمة من الكلام بعض كلمات صدره ، حيث كانت كالآية التي نحن بصددها . وهذه الروابط كلها لفظية ، وقد

تكون معنوية كقوله تعالى : « يا أيها الـذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم » •

نماذج شعرية :

ومن أمثلة هذا الفن في الشعر قول البحتري :

ضرائب أبدعتهـا في السماح فلسنا نرى لك فيهـا ضريبا

وقول أبي تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمـال المضاع

وأبيات الحماسة المشهورة الرائعة :

تمتع من شميم عرار نجـد فما بعـد العشية من عرار

شهـور ينقضـين وما شعرنا بأنصاف لهـنّ ولا سرار

وتظرّف الثعالبي فجمـع بين هـذا الفن وفن التجنيس ، فقال ــ ويكاد يكون طريفاً لولا مسحة التكلف ــ :

وإذا البلابـل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابـل

فالبلابل الأولى جمع بلبل ، وهو طائر غرد معروف ، والثانية : جمع بلبال ، وهو الحزن ، والثالثة : جمع بلبلة ، بالضم ، وهي إبريق الخمر • وتظرّف آخر فجمـع بين هـذا الفنّ وفنّ التجنيس وفن التورية فقال :

لا كان إنسان تيمّم قاصداً صيد المها فاصطاده إنسانها

فالإنسان الأول هو الشخص المعروف ، والإنسان الثاني بؤبؤ العين . وفيما يلي طائفة من أمثلة هذا الفنّ موزّعة على أقسامه الثلاثة المتقدمة . قال أبو العلاء :

لو اختصرتم من الإحسان زرتكم

والعذب يهجر للإفراط في الخصر

والخصر بفتحتين : البرودة .

وقال أبو تمام :

ومن يك بالبيض الكواعب مغرماً

فما زلت بالبيض القواضب مغريا

وما أجمل قول بعضهم :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري

أطنين أجنحة الذباب يضير ؟

وقال أبو تمام راثياً :

ثوى بالثّرى من كان يحيا به الثّرى

ويغمر حرف الدهر نائله الغمر

وقد كانت البيض القواضب قبله

بواتر فهي الآن من بعده بتر

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) ﴾

الاعراب :

(قل لمن مافي السموات والأرض) كلام مستأنف مسوق لتبكيت الكفار وتوبيخهم على ما بدر منهم من تخلّف في الكفر ، وعجز عن التأمل والاستبصار • ولمن جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن اسم استفهام للتوبيخ والإنكار ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة « ما » ، والأرض عطف على السموات (قل لله كتب على نفسه الرحمة) كلام مستأنف مسوق ليبدأ الرسول بالجواب الذي ليس ثمة جواب غيره • ولله جـار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو لله ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وجملة كتب على نفسه الرحمة مستأنفة ، لأنها مستقلة عما قبلها ، غير مندرجة في سلك المقول ، وعـلى نفسه جار ومجرور متعلقان بكتب ، والرحمة مفعول به (ليجمعنّكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) اللام جواب للقسم المحذوف المفهوم من قوله : « كتب على نفسه » ، كأنه أقسم على ذلك ، وجملة يجمعنكم لا محل لها من الاعراب لأنها جواب للقسم ، وقد اختلف في هذه الجملة كثيراً ولكن ما ارتأينـاه أولى بالصواب • والى يوم القيامـة جار ومجرور

متعلقان بمحذوف حال ، أي : مبعوثين أو محشورين الى يوم القيامة ؛ ولا نافية للجنس ، وريب اسمها ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والجملة حالية (الـذين خسروا أنفسهم فهـم لا يؤمنون) الذين نصب عـلى الـذم ، ويجوز أن تعربها مبتدأ خبره جملة فهم لا يؤمنون ، وجيء بالفاء لما في الموصول من رائحة الشرط ، وجملة خسروا أنفسهم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وهم مبتدأ ، وجملة لا يؤمنون خبره ، وجملة الذين خسروا أنفسهم على وجه النصب على الذم في محل نصب على الحال ، وعلى وجه الرفع مستأنفة مسوقة لبيان سبب خسرانهم •

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

اللغـة :

(سكن) : يحتمل أن يكون من السكنى ، ويتعـدى بفي ؛ ومعناه حل وثبت • ويحتمل أن يكون من السكون ضد التحرك • واكتفى بأحد الضدين ، لأنه يدل عـلى ضده ، وخصه بالذكر لأنه السكون هو الأصل ، والحركة طارئة ، ويتعدي بفي أيضاً •

(فاطر السموات والأرض) : مبدعهما •

ويروى عن ابن عباس قوله : ما عرفت فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي : ابتدعتها . وسيأتي مزيد بحث عن هذه المادة .

الاعراب :

(وله ما سكن في الليل والنهار) الواو استئنافية ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول مبتدأ مؤخر . وجملة سكن في الليل والنهار صلة الموصول ، واختار الزمخشري أن تكون الواو عاطفة نسقاً على قوله : « لله » ، أي على الجملة المحكية بـ « قل » ، أي قل : هو لله ، وقل : وله ما سكن . ولا بأس بذلك (وهو السميع العليم) الواو عاطفة ، وهو مبتدأ ، والسميع خبر أول ، والعليم خبر ثان (قل أغير الله أتخذ ولياً) كلام مستأنف مسوق لمتابعة الرد عليهم حين دعوه إلى دين آبائه . وقل فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، وغير الله مفعول به أول لأتخذ ، وولياً مفعول به ثان ، والجملة في محل نصب مقول القول (فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) فاطر السموات والأرض نعت أو بدل لله ، والواو عاطفة ، وهو مبتدأ ، وجملة يطعم بالبناء للمعلوم خبر ، وجملة لا يطعم بالبناء للمجهول عطف عليها (قل إني أُمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكوننّ من المشركين) كلام مستأنف مسوق لتكرير الرد عليهم . وإن واسمها ، وجملة أمرت خبرها ، وإن واسمها وخبرها في محل نصب مقول القول ، وأمرت فعل ماض مبني للمجهول ، والتاء نائب فاعل ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بأمرت ، وأول خبر أكون ، ومن

اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة أسلم صلة الموصول ، ولا تكونن الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتكونن فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ « لا » ، والجملة مقول القول محذوف معطوف على ما تقدم ، أي : وقيل لي : لا تكونن ، ومن المشركين خبر تكونن . والمعنى أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك .

﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

الاعراب :

(قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) كلام مستأنف ليكون جواباً ثالثاً للردّ عليهم . وإن واسمها ، وجملة أخاف خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول،وإن شرطية،وعصيت ربي فعل ماض وفاعل ومفعول به في محل جزم فعل الشرط ، والجواب محذوف دلّ عليه ما قبله ، والجملة الشرطية يجوز أن تكون معترضة بين فعل أخاف ومفعوله ، وهو : عذاب يوم عظيم ، ويجوز أن تكون حالية ، والأول أولى ، ويوم مضاف اليه ، وعظيم صفة (من يصرف عنه يومئذ فقد

رحمه) الجملة صفة لعذاب يوم عظيم ، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ، ويصرف فعل الشرط (وهو مبني للمجهول ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ، وعنه جار ومجرور متعلقان بيصرف ، ويومئذ ظرف مضاف الى مثله متعلق بيصرف ، والتنوين في « إذ » عوض عن جملة ، وسيأتي بحثه في باب الفوائد . والفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق، ورحمه فعل ومفعول به ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » . (وذلك الفوز المبين) الواو استئنافية أو حالية،وذلك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ،والفوز خبر ، والمبين صفة والجملة مستأنفة أو حالية (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الواو عاطفة ، وإن شرطية ويمسسك فعل الشرط ، والكاف مفعول به المقدم ، والله فاعله المؤخر لفظاً ، وبضر جار ومجرور متعلقان بيمسسك ، فلا الفاء رابطة للجواب لأن الجواب جملة اسمية ، ولا نافية للجنس ، وكاشف اسمها المبني على الفتح ، وله جار ومجرور متعلقان بكاشف ، وإلا أداة حصر وهو بدل من محل لا واسمها ، وخبر « لا » محذوف ، أي : موجود والجملة في محل جزم جواب الشرط (وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) عطف على ما تقدم ، وجملة : « وهو على كل شيء قدير » تعليلية لجواب الشرط المحذوف ، أي : فلا رادّ له غيره ، وهو مبتدأ ، وقدير خبر ، وعلى كل شيء متعلقان بقدير (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) الواو استئنافية أو حالية ، وهو مبتدأ ، والقاهر خبر ، وفوق عباده ظرف متعلق بالقاهر ، ويجوز أن يتعلق بمحذوف خبر ثان أو بمحذوف حال ، أي : مستعلياً . والصورة رائعة للقهر والعلوّ بالغلبة والقدرة .

الفوائد :

(يومئذ) التنوين اللاحق لـ « إذ » في نحو : يومئذ وحينئذ ، عوض عن الجملة التي تضاف « إذ » إليها ، والأصل : يوم إذ يصرف عنه فقد رحمه ، فحذفت جملة « يصرف عنه » وجيء بالتنوين عوضاً عن الجملة المحذوفة ، إيجازاً وتحسيناً ، فالتقى ساكنان : ذال « إذ » والتنوين ، فكسرت الذال على أصل التقاء الساكنين ، وليست هذه الكسرة كسرة إعراب باضافة « يوم » اليها لأن « إذ » ملازمة للبناء لشبهها بالحرف في الافتقار الى جملة وفي الوضع على حرفين ، وليست الاضافة في « يومئذ » ونحوها من إضافة أحد المترادفين للآخر ، بل من إضافة الأعم الى الأخص ، كشجر أراك .

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

اللغة :

(شيء) الشيء : ما يصحّ أن يعلم ويخبر عنه ، ويجمع على أشياء . وقد تقدم القول في منع أشياء من الصرف ، والشيء في اصطلاح المتكلمين هو أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يندرج تحته . وقد

شجر بين المتكلمين خلاف نلمح إليه لطرافته ، فقد ذهب الأشاعرة — وهم من أهل السنة — إلى أنه الموجود ليس إلا ، وخالفهم المعتزلة بأنه الذي يصح وجوده ، فشمل المعدوم . ولكن الفريقين اتفقا على خروج المستحيل من مفهومه . والمفهوم اللغوي أنه لا يتناوله ، قال أبو الطيب المتنبي :

وضاقت الأرض حتى كاد هاربهم

إذا رأى غير شيء ظنّه رجلا

الاعراب :

(قل : أيّ شيء أكبر شهادة) كلام مستأنف مسوق للردّ على من طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يريهم من يشهد له بأنه رسول الله . وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، وأي شيء مبتدأ ، وأكبر خبر ، وشهادة تمييز محوّل عن المبتدأ ، والجملة في محل نصب مقول القول (قل : الله شهيد بيني وبينكم) الجملة مستأنفة مسوقة لتهيئة الرد عليهم ، والله مبتدأ ، وشهيد خبره ، والظرفان متعلقان بشهيد ، والجملة في محل نصب مقول القول . وإذا كان الله هو الشهيد بينهم وبينه فهو أكبر شهادة (وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) الواو عاطفة أو استئنافية ، وأوحي فعل ماض مبني للمجهول ، وإلى جار ومجرور متعلقان بأوحي ، وهذا اسم إشارة في محل رفع نائب فاعل أوحي ، والقرآن بدل من اسم الاشارة ، والجملة معطوفة أو مستأنفة بمثابة التعليل ، والمعنى أن شهادة الله لي بأني رسوله كافية في نزول هذا القرآن ، واللام للتعليل ،

وأنذركم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والكاف مفعول، ومن الواو عاطفة ، ومن اسم موصول منسوق على الكاف في أنذركم ، أي : لأنذركم وأنذر كل من بلغه القرآن (أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) الهمزة للاستفهام الإنكاري التقريري ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وجملة تشهدون خبرها ، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعول تشهدون ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول قول محذوف أي : ويقول : أئنكم لتشهدون ، وأن حرف مشبه بالفعل ومع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر أن المقدم ، وآلهة اسمها المؤخر ، وأخرى صفة لآلهة (قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الردّ عليهم ، لا نافية وأشهد فعل مضارع ، والجملة نصب على أنها مقول القول ، وقل فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت ، والجملة مستأنفة أيضاً للغرض نفسه ، وإنما كافة ومكفوفة ، وهو مبتدأ وإله خبر ، وواحد صفة ، وإنني الواو عاطفة ، وإن واسمها ، وبريء خبرها ، والجملة منسوقة على ما قبلها ، ومما جار ومجرور متعلقان ببريء ، و « ما » يحتمل أن تكون مصدرية أو موصولة ، أي : من إشراككم بالله ، أو من الأصنام التي تشركونها مع الله .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

الاعراب :

(الـــذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) كلام مستأنف مسوق للرد على الذين يزعمون أن أهل الكتاب لا يعرفونه ، أي الرسول ، ويجوز أن يعود الضمير عـلى القرآن . والذين اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة آتيناهم صلة الموصول ، والكتاب مفعول به ثان ، وجملة يعرفونه خبر الذين ، وكما الكاف حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالكاف ، والجـار والمجرور نصب على المفعولية المطلقة ، وقد تقدمت له نظائر كثيرة . وأبناءهم مفعول به (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتـدأ أيضاً ، وجملة خسروا صلة الموصول ، وأنفسهم مفعول به ، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، وهم مبتدأ ثان وجملة لا يؤمنون خبر « هم » ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الذين ، ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف ، أي : هم الذين خسروا أنفسهم ، وأعربها ابن جرير نعتاً لـ « الذين » الأولى ، وهو سائغ . وقيل : هو منصوب على الذمّ ، وهو محتمل أيضاً (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) الواو استئنافية ، ومن اسم استفهام معناه النفي والتوبيخ ، أي لا أحد أظلم ، وهو مبتدأ ، وأظلم خبر ، وممن جار ومجرور متعلقان بأظلم ، وجملة افترى صلة الموصول ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى ، وكذباً مفعول به (أو كذّب بآياته) عطف على جملة افترى داخلة في حيز الصلة (إنه لا يفلح الظالمون) إن واسمهـا ، وجملة لا يفلـح الظالمون خبر ، والجملة تعليل لما سبق .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ

كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾

الاعراب :

(ويوم نحشرهم جميعاً)الواو استئنافية،ويوم ظرف ناصبه محذوف مبهم زيادة في التخويف والتهويل ، والمعنى : ويوم نحشرهم كان كذا وكذا . ويجوز أن يكون مفعول لـ « اذكر » مقدراً ، وجملة نحشرهم في محل جر بإضافة الظرف اليها ، والهاء مفعول به ، وجميعاً حال (ثم نقول للذين أشركوا : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) ثم حرف عطف للتراخي ، لطول المدة بين الحشر والقول ، وللذين جار ومجرور متعلقان بنقول ، وجملة أشركوا صلة الموصول ، وأين اسم استفهام في محل نصب ظرف مكان ، والظرف متعلق بمحذوف خبر متقدم ، وشركاؤكم مبتدأ مؤخر ، والذين اسم موصول صفة لشركاء ، وجملة كنتم صلة ، والتاء اسم كنتم ، وجملة تزعمون خبرها ، ومفعولا تزعمون محذوفان للعلم بهما ، أي : تزعمونهم شركاء (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) ثم حرف عطف للتراخي ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ، وفتنتهم اسم تكن . وإلا أداة حصر ، وأن مافي حيزها في تأويل مصدر خبر تكن (والله ربنا ما كنا مشركين) الواو حرف قسم وجر ، ولفظ الجلالة مجرور بالواو ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره « نقسم »، وربنا بدل أو نعت لـ «الله»، وجملة القسم في محل نصب مقول قولهم ، وما نافية ، وكان واسمها ، ومشركين خبرها .

﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

اللغــة :

(أكنّة) الأكنّة : جمع كنان بكسر الكاف ، وهو وقاء كل شيء وستره ، ويجمع على أكنان أيضاً . وكنّه وأكنّه : ستره، قال أبو زيد : الثلاثي والرباعي لغتان في الستر والإخفاء جميعاً ، واستكن استتر ، وأكننته في نفسي : سترته وأضمرته . وسميت جعبة السهام كنانة لأنها تسترها فإذا أراد إخراجها نثرها ، ومنه قول الحجاج في خطبته « نثر كنانته بين يديه » . وكانون الشتاء الذي هو أشده برداً ، ومن أقوالهـم : « أحسن من الكانون في الكانون » ، والكانون الأول المصطلى . والكنة بفتح الكاف امرأة الابن أو الأخ ، وجمعها كنائن ، ومن معاني الكانون : الثقيل ، ومنه قول الحطيئة يهجو أمه :

أغربالاً إذا استودعت سـرّاً وكـانوناً عــلى المتحـدثينا

ومن العامي الفصيح قولهم : «كنكن في البيت» أي : رزمه واستقر فيه ، وخاصة في الشتاء .

(وقراً) الوقر : بفتح الواو مصدر وقرت أذنه ، أي ثقلت وذهب سمعه ، والكلمة من المجاز . ومن غريب أمر هذه المادة أنها تدل على الثقل والرزانة ، يقال : وقر يقر ــ بكسر عين المضارع ــ العظم : صدعه ، ووقر يقر قرة ووقارة ووَقَراً الرجل كان رزيناً ذا وقار وثبت. ووقرت أذنه من باب تعب : ثقلت أو ذهب سمعه . والوقار : الحلم والرزانة ، وهو مصدر وقر بالضم ، والمرأة وقور : فعول بمعنى فاعل ، مثل صبور وشكور ، قال أبو فراس :

وقورٌ وريعان الصبا يستفزّها فتأرن أحياناً كما يأرن المهر

(أساطير الأولين) : في مختار الصحاح : الأساطير : الأباطيل ، والواحدة أسطورة بالضم ، وإسطارة بالكسر . وقال غيره : إنه جمع جمع ، فأساطير جمع أسطار ، وأسطار جمع سطر بفتح الطاء . وأما سطر بسكونها فجمعه في القلة على أسطر ، وفي الكثرة على سطور ، وقيل : إنه جمع جمع الجمع،فأساطير جمع أسطار،وأسطار جمع أسطر ، وأسطر جمع سطر ، وقال المبرّد : إنه جمع أسطورة ، نحو : أرجوحة وأراجيح ، وأحدوثة وأحاديث . ومعنى الأساطير الأحاديث الباطلة .

الاعراب :

(انظر كيف كذبوا على أنفسهم) كلام مستأنف مسوق للإخبار عنهم بالكذب . وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، وكذبوا فعل وفاعل ، والجملة في محل نصب بانظر لأنها معلقة لها عن العمل ، وعلى أنفسهم جار ومجرور متعلقان بكذبوا (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يجوز أن تكون الواو

عاطفة ، فتكون الجملة منسوقة على جملة كذبوا ، فتكون داخلة في حيّز النظر ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية ، فتكون الجملة مستأنفة ، مسوقة للإخبار بها عن كذبهم . وضلّ فعل ماض ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بضل ، وما يجوز أن تكون موصولة اسمية ، فتكون فاعلاً لضلّ ، وجملة كانوا يفترون صلة ، ويجوز أن تكون مصدرية فالمصدر المؤوّل هو فاعل ضلّ ، وجملة يفترون خبر كان (ومنهم من يستمع اليك) الواو عاطفة ، أو استئنافية ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر . وجملة يستمع صلة ، وإليك جار ومجرور متعلقان بيستمع ، وسيأتي سر إفراد الصلة في باب البلاغة (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) الواو عاطفة على الجملة قبلها من عطف الفعلية على الاسمية . وقيل : الواو للحال بتقدير « قد » ، أي : وقد جعلنا . وجعلنا فعل وفاعل ، وعلى قلوبهم جار ومجرور متعلقان بجعلنا على أنه مفعوله الثاني ، هذا إذا اعتبرنا جعلنا للتصيير ، وأما إذا كانت بمعنى خلقنا فتتعدى لواحد وهوأكنة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال منه ، لأنهما لو تأخرا لوقعا صفة له ، وأن يفقهوه مصدر مؤول في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف ، أي : كراهية أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً عطف على الجملة السابقة (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) الواو عاطفة ، وإن شرطية ويروا فعل الشرط والواو فاعل وكل آية مفعول به ولا نافية ويؤمنوا جواب الشرط وبها جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا (حتى إذا جاءوك يجادلونك) يجوز أن تكون « حتى » هنا غاية وجر ، ويكون « إذا جاءوك » في محل الجر ؛ بمعنى : حتى وقت مجيئهم . وجملة يجادلونك حال ، ويجوز

أن تكون حتى ابتدائية ، وهي التي تقع بعدها الجمل ، وعلى كل حال جملة يجادلونك حال من الواو في جاءوك (يقول الذين كفروا : إن هذا إلا أساطير الأولين) الجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم، والذين فاعل ، وجملة كفروا صلة ، وإن نافية ، وهـذا اسم إشارة مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وأساطير الأولين خبر ، والجملة المنفية في محل نصب مقول القول .

البلاغـة :

الكناية ـ في جعل الأكنة ـ على القلوب والوقر في الآذان عن نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبول الحق والاعتقاد بصحته ، ونزيد هنا أن الكناية مزية إعطاء المعاني صورة المحسّات ، وهذه المزية من أبرز خواص الفنون ، فان المصوّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحاً ملموساً ، وعلى هذا تتضح لك روعة الصورة لهؤلاء الذين ضربت على قلوبهم الأسداد ، وتبلدت منهم الأذهان ، فما تتمخض عن ذوق ولا تسفر عن فنّ ، ولا تهيـج إلى معرفة ، ومن هـذا القبيل في إظهار الروعـة قول البحتريّ :

يغضّون فضل اللحظ من حيث ما بدا

لهم عن مهيـب في الصدور محبّب

فإنه كنى عن إكبار الناس للممدوح وهيبتهم إياه بعض الأبصار الذي هو في الحقيقة برهان على الهيبة والاجلال ، وتظهر هذه الخاصة

جلية في الكنايات التي سترد عليك في القرآن عن الصفة والموصوف والنسبة ، مما سنشير إليه في مواطنه .

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

الاعراب :

(وهم ينهون عنه وينأون عنه) الواو استئنافية ، وهم مبتدأ ، وجملة ينهون خبر ، وعنه جار ومجرور متعلقان بينهون ، وضمير « هم » يعود على الكفار ، وضمير « عنه » يعود على القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم وجملة ينأون عنه عطف على ينهون عنه (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) الواو حالية ، وإن نافية ، ويهلكون فعل مضارع وفاعل ، وإلا أداة حصر ، وأنفسهم مفعول به ، والواو حرف عطف ، وما نافية ، وجملة يشعرون معطوفة على يهلكون (ولو ترى إذ وقفوا على النار) كلام مستأنف مسوق للشروع في وصف ما يصدر عنهم يوم القيامة من أحوال متناقضة متهافتة ، والواو شرطية ، وترى فعل مضارع ، وجواب لو محذوف لفهم المعنى ، والتقدير : لرأيت شيئاً مذهلاً عظيماً . والرؤية هنا يجوز أن تكون قلبية : أي لو انصرفت اليهم بقلبك وفكرك لتتدبر أحوالهم وتكتنه

حقيقة أمرهم في ذلك الوقت تزداد يقيناً • ويجوز أن تكون بصرية ومفعولها محذوف ، أي : لو ترى أحوالهم وتعاينها عن كثب • وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى ، وجملة وقفوا في محل جر بالاضافة ، والواو نائب فاعل ، وعلى النار جار ومجرور متعلقان بوقفوا (فقالوا : ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) الفاء حرف عطف ، وقالوا عطف على وقفوا ، ويا حرف نداء ، والمنادى محذوف ، أو هي لمجرد التنبيه ، وليت واسمها ، وجملة نرد خبرها ، والواو للمعية ، ولا نافية ،ونكذب فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد واو المعية ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر معطوف على مصدر متوهم ، والتقدير : يا ليتنا لنا رد وانتفاء تكذيب والكون من المؤمنين، وجملة التمني في محل نصب مقول القول ، ولأبي جعفر الطبري كلام مطوّل حول قراءة « ولا نكذب » بالرفع ، وانتهى الى ترجيحها على قراءة النصب ، وهو مجرّد تعسف • والواو حرف عطف ، ونكون عطف على نكذب ، واسم نكون مستتر تقديره نحن ، ومن المؤمنين خبرها •

البلاغة :

في هذه الآية فنان جميلان :

١ ــ الجناس بين ينهون وينأون ، وهو جناس التصريف الذي هو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف أو من قريب من مخرجه ، سواء أكان الإبدال في الأول أم في الوسط أم في الآخر ، ومن طريف هذا التجنيس في الشعر قول البحتري :

عجب الناس لاغترابي وفي الأطـــــرافتلقى منازل الأشراف
وقعودي عن التقلــب والأر ضِ لمثـلي رحيبة الأكنــاف
ليس عن ثروة بلغت مــداها . غــير أني امرؤ كفــاني كفافي

وجميل قول أبي فراس الحمداني :

تعس الحريص وقل ما يأتي به عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
إن الغنيّ هــو الغنيّ بنفسه ولو انــه عاري المناكب حافي
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فكلّ شيء كافِ

وبلغ الشريف الرضيّ الغاية منه حيث قال :

لايذكر الرمل إلا حنّ مغترب له إلى الرمل أوطار وأوطــان

٢ ـ والفن الثاني : هو الإيجاز بحذف جواب « لو » في الآية الثانية ، ومفعول ترى فيها أيضاً . والحذف كثير شائع في القرآن ، وفائدته أن النفس تذهب في تقدير المحذوف كــل مذهب ، والخيال يتسع للتقدير ، ومما جاء من حــذف جواب لو قول أبي تمــام في قصيدته البائية التي يمدح بها المعتصم بالله عند فتحه عمورية :

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت
له المنيّة بــين السّمــر والقضب

أي لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبته ، أو لما أقدم على ما فرط منه . على أن حذف الجواب لابد له من دليل يدل عليه ، ولذلك ورد الجواب

في قوله تعالى : « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلّوا فيه يعرجون لقالوا : إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » إذ لو حذف الجواب لما علم مكان المحذوف .

الفوائـد :

كان المشركون يظنون أنهم يستطيعون أن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستطيعون إيذاءه وكان عمّه أبو طالب يحول بينهم وبين ابن أخيه فقال من نظمه :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة وابشر بذاك وقرّ منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثمّ أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبّةً لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

﴿ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) ﴾

الاعراب :

(بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) بل حرف إضراب وعطف ،

والمراد بالإضراب هنا إبطال كلام الكفرة ، وبدا فعل ماض ، ولهم جار ومجرور متعلقان ببدا ، وما اسم موصول في محل رفع فاعل بدا ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وكان واسمها ، وجملة يخفون خبر كانوا، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بيخفون (ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه) الواو عاطفة ، ولو شرطية ، وردوا فعل ماض ونائب فاعل ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة لعادوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، ولما اللام حرف جر ، وما اسم موصول في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بعادوا ، وجملة نهوا عنه صلة الموصول ، والجار والمجرور متعلقان بنهوا (وإنهم لكاذبون) الواو حالية ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة وكاذبون خبر إن (وقالوا : إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) يجوز أن تكون الواو عاطفة على جملة عادوا ، فالجملة داخلة في حيز الجواب ، أو على قوله « وإنهم لكاذبون» ، ويجوز أن تكون استئنافية وإن نافية وهي مبتدأ، وإلا أداة حصر ، وحياتنا خبر ، والدنيا صفة ، والواو عاطفة ، وما حجازية تعمل عمل ليس ، ونحن ضمير منفصل في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ومبعوثين مجرور لفظاً خبر « ما » الحجازية محلاً .

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

الاعراب :

(ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) الواو استئنافية ، ولو شرطية ،

وترى فعل مضارع وهو شرط لو ، وجوابها محذوف لفهم المعنى ، والتقدير : لرأيت شيئاً عظيماً ، و « ترى » يجوز أن تكون بصرية ومفعولها محذوف ، ويجوز أن تكون قلبية ، والمعنى لو حرفت قلبك وفكرك لتتدبر أحوالهم وتكتنه حقيقة أمرهم في ذلك الوقت لازددت يقيناً . وإذ ظرف لما مضى متعلق بترى ، وجملة وقفوا في محل جر بالاضافة ، والواو نائب فاعل ، وعلى ربهم جار ومجرور متعلقان بوقفوا (قال : أليس هذا بالحق) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواب سؤال مقدر تقديره : ماذا قال لهم ربهم إذا وقفوا عليه ؟ ويجوز أن تكون حالية وصاحب الحال « ربهم » ، كأنه قيل : وقفوا عليه قائلاً لهم : أليس هذا بالحق ؟ والهمزة للاستفهام التوبيخي الإنكاري ، وليس فعل ماض ناقص ، وهذا اسم اشارة في محل رفع اسمها ، والباء حرف جر زائد ، والحق مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس (قالوا : بلى وربنا) كلام مستأنف مسوق لتأكيد اعترافهم باليمين . وبلى حرف جواب لإثبات النفي ، وربنا الواو حرف قسم وجر ، وربنا مجرور بواو القسم ، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره ، نقسم (قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما قال لهم . والفاء الفصيحة ، أي : إذا علمتم هذا ثم انحرفتم عن مقتضاه فذوقوا العذاب ، والعذاب مفعول به لذوقوا ، والباء حرف جر ، وما موصولية أو مصدرية ، أي : بالذي كنتم ، أو بكونكم كفرتم ، وكان واسمها ، وجملة تكفرون خبر كنتم .

البلاغة :

الاستعارة المكنية في قوله : « فذوقوا العذاب » ، وقد تقدم القول فيها ، فجدّد به عهداً ، والله يعصمك .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٣١) ﴾

اللغــة :

(أوزارهم) الأوزار : جمع وزر بكسر الواو ، وهو الحمل الثقيل ، والوزر في الأصل : الثقل ، ومنه وزرته ، ووزير الملك من هذا ، لأنه يتحمل أعباء ما قلده من أمور الرعية ، ومنه أوزار الحرب لسلاحها وعتادها وآلتها ، قال الأعشى :

وأعـددت للحـرب أوزارها ... رماحاً طوالاً وخيـلاً ذكورا

ووضعت الحرب أوزارها : أي أثقالها ، كناية عن توقفها .

الاعراب :

(قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله) كلام مستأنف مسوق لبيان مصير هؤلاء الذين حكيت أقوالهم . وقد حرف تحقيق ، وخسر فعل ماض ، والذين اسم موصول فاعله ، وجملة كذبوا صلة ، وبلقاء الله جار ومجرور متعلقان بكذبوا (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) تقدم القول قريباً في أن « حتى » في مثل هذا التركيب يجوز أن تكون غاية للتكذيب لا للخسران ، أو ابتدائية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى

الشرط . وجملة جاءتهم الساعة في محل جر بالإضافة . وبغتة حال أو منصوب على المصدر ، قال سيبويه : وهي مصدر في موضع الحال ، قال . ولا يجوز أن يقاس عليه . فلا يقال : جاء فلان سرعة (قالوا : يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم . وقالوا فعل وفاعل ، ويا حرف نداء ، وحسرتنا منادى مضاف ، وعلى ما فرطنا متعلقــان بالحسرة ، وجملة فرطنا فيهــا صلة « ما » (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهــم) الواو حالية ، وهم ضــمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، وجملة يحملون خبر ، وعلى ظهورهم جار ومجرور متعلقان بيحملون (ألا ساء ما يزرون) ألا أداة تنبيه ، وساء فعل ماض لإنشاء الذم ، وما نكرة تامة منصوبة على التمييز ، أو اسم موصول فاعل ، وجملة يزرون صفة على الأول ، وصلة على الثاني .

البلاغــة :

١ ــ الاستعارة التصريحية ، فقد شبه الذنوب بالأوزار الثقيلة ، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به .

٢ ــ فنّ المقارنة : فقد اقترن ضربان من فنون البديع في الكلام ، وهما التنكيت والمبالغة ، فإن لقائل أن يقول : ما النكتة التي رجحت اختصاص الظهور بالحمل دون الرؤوس ؟ والجواب أن النكتة في ذلك الإشارة الى ثقــل الأوزار ، لأن الظهــور أحمل للثقل من الرؤوس ، وما يلزم من ذكر الظهور عن عجز الرؤوس عن حمل هذه الأوزار من المبالغة في ثقلها مقترن بالتنكيت ، وما اكتنف هذا الاقتران من تجنيس المزاوجة في قوله تعالى : « أوزارهم » قبل قوله : « على ظهورهم » ،

وقوله تعالى : « يزرون » بعدها ، وترشيح هذا التجنيس لتمكين الفاصلة بالتصدير ، واقتران الترشيح بالتصدير .

نموذج شعري :

ومن نماذج هذا الفنّ الشعري قول إدريس بن اليمان :

وكنت إذا استنزلتَ من جانب الرضا

نزلت نزول الغيث في البلد المحل

وإن هيّج الأعداء منك حفيظة

وقعت وقوع النار في الحطب الجزل

فإن الشاعر قرن في البيت الاستعارة في قوله «نزلت نزول الغيث» بالتشبيه فقد استعار الشاعر النزول للمدوح ، لأن حقيقة ما أراد : إذا استرضيت رضيت ، وأما التشبيه ففي قوله : « نزول الغيث » فإن التقدير : نزلت نزولا مثل نزول الغيث ، وقرن تجنيس التغاير في قوله « نزلت نزول الغيث » فإن اللفظة الأولى فعل والثانية اسم بالترشيح ، فإنه رشح بذلك التجنيس للإيغال ، وجاءت المبالغة مدمجة في التشبيه ، إذ شبه نزوله بنزول الغيث ، وقرن في البيت الثاني الاستعارة التي في قوله : « وقعت » بالتشبيه الذي في لفظ : « وقوع النار » وأدمج المبالغة في هذا التشبيه ، لأن قوله : « وقعت وقوع النار » مبالغة ، وأدمج في تجنيس التغاير الذي في لفظتي « وقعت » و « وقوع » ، والترشيح للإيغال . وجميلة المقارنة في قول تميم بن مقبل :

لــدن غـــدوة حتى نزعنـا عشيـّة

وقد مات شطر الشمس والشطر مدنف

فإنه قرن في هــذا البيت الإرداف والاستعارة ، لأنــه عبر عن الغروب بموت شطر الشمس في أوائل العجز ، وهذا هو الإرداف ، واستعار للشطر الآخر الدنف وهو شدة المرض ، وهذا بليغ جداً حيث أتت المقارنة في عجز البيت وحده .

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾

الاعراب :

(وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما وراء الطبيعة ، وأن هناك حيــاة أخرى ، وتبيان حقيقة تينك الحياتين . وما نافية ، والحياة مبتدأ والدنيا صفة ، وإلا أداة حصر ، ولعب خبر الحياة ، ولهو عطف على لعب (وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون) الواو حالية ، واللام لام الابتداء، والدار مبتدأ والآخرة صفة ، وخير خبر ، وللذين جار ومجرور متعلقان بخير ، وجملة يتقون صلة الموصول ، والجملة نصب على الحال . ولك

أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة لإتمام بيان حال الحياتين ، والهمزة للاستفهام الإنكاري داخلة على مقدر ، والفاء حرف عطف، والمعطوف عليه محذوف، والتقدير : أتغفلون فلا تعقلون، والجملة الاستفهامية مستأنفة (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) الجملة مستأنفة مسوقة للتسرية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد في الأصل للتقليل ، ولكن أريد بها التكثير ، وسيرد تفسير ذلك في باب البلاغة • ونعلم فعل مضارع متعد لاثنين ، وما بعده سادّ مسدّهما ، فانه معلق عن العمل بلام الابتداء ، وكسرت همزة إن لدخول اللام في حيزها ، وإنه واسمها ، وجملة يحزنك خبر إن ، والذي فاعل يحزنك ، وجملة يقولون صلة (فإنهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون) الفاء تعليلية ، وإن واسمها ، ولا نافية ، وجملة لا يكذبونك خبرها ، ولكن الواو حالية أو عاطفة ، ولكن واسمها ، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بيجحدون ، وجملة يجحدون خبر لكن •

البلاغة :

في الآية الثانية نوعان من البلاغة :

١ ـ الرجوع الى الضد فيما بلغ الغاية ، وهي سنة من سنن العرب ولطائفهم ، فيسمون الجميلة المفرطة في جمالها قبيحة ، ويعبرون عن الشيء بضده ، وقد رمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه البلاغة بقوله :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً ... للمنتهى ومن السرور بكاء

يريد أنك بلغت في الجود أقصى غايته وطلبت شيئاً آخر وراءه فلم تجد فكدت تحول أي ترجع عن آخره لما انتهيت اليه ، إذ ليس من شأنك أن تقف في الكرم على غاية بعد بلوغك غايته . وهذا من أحسن الكلام أي إذا تناهى الانسان في الجود كاد يعود الى البخل . وفي الآية عبر بـ « قد » التي هي للتقليل إذا دخلت على الفعل المضارع تنبيهاً على زيادة الفعل ، والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة متعلقاته . وسيرد الكثير منه في هذا الكتاب .

٢ ـ أقام الظاهر مقام المضمر بقوله : « ولكن الظالمين » وقياس الظاهر يقتضي إضماره ، ولكنه عدل عن القياس للإسهاب في ذمهم وللتصريح بلفظ الظلم وتسميتهم به ، ليكون سمة يتميزون بها زيادة في تأكيد ذمهم .

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

الاعراب :

(ولقد كذبت رسل من قبلك) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتسرية عنه ، صلى الله عليه وسلم ، واللام جواب للقسم المحذوف ، وقد حرف تحقيق ، وكذبت فعل ماض مبني للمجهول ، والتاء تاء التأنيث الساكنة ، ورسل نائب فاعل ، ومن قبلك

جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لرسل (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا) الفاء عاطفة ، وصبروا فعل وفاعل عطف على كذبت ، و « على ما » جار ومجرور متعلقان بصبروا و « ما » مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، أي : على تكذيبهم ، وأوذوا عطف على « صبروا » ،وحتى تحتمل الغاية ــ ولعلها هنا أرجح ــ وتحتمل أن تكون ابتدائية ، وأتاهم نصرنا فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر (ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين) الواو حالية ، ولا نافية للجنس ، ومبدل اسمها المبني على الفتح ، ولكلمات الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والواو استئنافية ، واللام جواب القسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وجاءك فعل ومفعول به ، وفاعل جاءك مشكل ، والظاهر أن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف هو صفة للفاعل نابت منابه ، أي جاءك بعض أنبائهم أو مزيد من أنبائهم وقصصهم ، ويجوز أن يعلق الجار والمجرور بمحذوف حال من الفاعل المستتر في جاء ، والعائد الى ما هو مفهوم من الجملة السابقة ، أي : ولقد جاءك هذا الخبر كائناً من نبأ المرسلين . والأول أسهل ، وأبعد عن التكلف .

البلاغة :

الالتفات البديع من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم في قوله تعالى : « حتى أتاهم نصرنا » ، إذ قبله : « بآيات الله يجحدون » ، ولو جرى الكلام على نسقه لقيل : نصره ، وفائدة هذا الالتفات ــ بالإضافة الى تطرية الكلام وتنويعه ــ إسناد النصر الى ضمير المتكلم المشعر بالعظمة ، والحافز على وجوب مداومة الجهاد والنضال والصمود في سبيل تحقيق المطمح الكبير ، وتأدية الرسالة السامية المثلى .

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) ﴾

اللغـة :

(نفقاً) النفق : سرب في الأرض له مخرج الى مكان معهود ، ومنه نفق السكة الحديدية • وقد تقدم البحث مستوفى في هذه المادة •

(السّلّم) : هو المصعد ، وقيل : هو الدّرج ، وقيل : هو السبب أيّاً كان ، تقول العرب : اتخذني سلماً لحاجتك ، أي : سبباً ، وهو مشتق من السلامة ، لأن الصاعد به تكتب له السلامة • والأفصح تذكيره ، وحكى الفرّاء تأنيثه عن العرب •

الاعراب :

(وإن كان كبر عليك إعراضهم) كلام مستأنف مسوق لتأكيد وجوب صبره صلى الله عليه وسلم • وإن شرطية ، وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسم كان هو ضمير الشأن ، وجملة كبر عليك إعراضهم خبر ، وعليك جار ومجرور متعلقان بكبر ، وإعراضهم فاعل (فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء) الفاء رابطة لجواب الشرط ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وإن شرطية أيضاً ، واستطعت فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف ، أي : فافعل • والمعنى : إن استطعت منفذاً تحت الأرض تنفذ فيه فتطلع لهم بآية ، أو سلماً تصعد به الى السماء

فتنزل منها بآية فافعل ، وأن تبتغي مصدر مؤول في محل نصب مفعول استطعت ، والشرط الثاني وجوابه جواب الشرط الأول ، وفي الأرض صفة لـ « نفقاً » وفي السماء جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « سلماً » (فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) الفاء حرف عطف ، وتأتيهم فعل مضارع معطوف على تبتغي ، والواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، واللام واقعة في جواب لو ، وجملة جمعهم على الهدى لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فلا تكونن من الجاهلين) الفاء الفصيحة ، أي : إذا عرفت هذا فلا تكونن ، ولا ناهية ، وتكونن فعل مضارع ناقص مبني على الفتح في محل جزم بـ « لا » ، ومن الجاهلين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونن •

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

الاعراب :

(إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) كلام مستأنف مسوق لتأكيد أن عدم استجابتهم ناشيء عن وجود الأكنة على قلوبهم والوقر في آذانهم ، لأنهم يحسبون في عداد الأحياء وهم في الحقيقة موتى . وإنما كافة ومكفوفة ، ويستجيب فعل مضارع مرفوع ، والذين فاعله ، وجملة يسمعون صلة الموصول لا محل لها ، والموتى الواو يجوز أن تكون مستأنفة ، والموتى مبتدأ ، وجملة يبعثهم الله خبره ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، والموتى منصوب على الاشتغال بفعل مضمر يفسره الاسم الظاهر بعده وتكون جملة يبعثهم الله مفسرة لا محل لها ، ولعل هذا الوجه أولى ؛ لينسجم التركيب . وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، واليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون ، ويرجعون فعل مضارع عطف على جملة يبعثهم (وقالوا : لولا نزّل عليه آية من ربه) الواو استئنافية ، وقالوا فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة لحكاية نمط آخر من أنماط جناياتهم ، ولولا حرف تحضيض ، ونزل فعل ماض مبني للمجهول ، وعليه جار ومجرور متعلقان بنزل ، وآية نائب فاعل ، ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية ، والجملة في محل نصب مقول قولهم . (قل : إن الله قادر على أن ينزّل آية) الجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على إفراطهم في اللجاجة ، وتماديهم في الفساد ، مع ترادف الآيات وتتابعها . وإن واسمها وخبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وعلى حرف جر ، وإن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بقادر ، وآية مفعول به لينزل (ولكن أكثرهم لا يعلمون) الواو حالية ، ولكن واسمها ، ولا نافية ، وجملة يعلمون خبرها ،

والجملة نصب على الحال (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه) كلام مستأنف مسوق لبيان قدرته تعالى وعلمه وتدبيره . وما نافية ، ومن حرف جر زائد ، ودابة اسم مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لدابة ، والواو حرف عطف ، ولا نافية ، وطائر اسم معطوف على دابة ، وجملة يطير بجناحيه صفة لطائر ، وسيأتي مزيد من بحث هذه الآية في باب البلاغة (إلا أمم أمثالكم) إلا أداة حصر ، وأمم خبر دابة ، وأمثالكم صفة لأمم (ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) ما نافية ، وفرطنا فعل وفاعل ، وفي الكتاب جار ومجرور متعلقان بفرطنا ، ومن حرف جر زائد ، وشيء مجرور لفظاً منصوب محلاً على المصدرية أو المفعولية وجملة ما فرطنا استئنافية ، وسيأتي مزيد من إعراب هذا الكلام في باب الفوائد ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، والى ربهم جار ومجرور متعلقان بيحشرون ، ويحشرون فعل مضارع معطوف على ما تقدم .

البلاغة :

في قوله : « يطير بجناحيه » فن الانفصال لزيادة التعميم والشمول ، فإن لقائل أن يقول : جملة قوله تعالى : « يطير بجناحيه » لا فائدة في الإتيان بها ظاهراً ، إذ كل طائر يطير بجناحيه ، وهذا إخبار بمعلوم ، والانفصال عن ذلك أن يقال : إنه سبحانه أراد أن يدمج في هذا الخبر النهي عن قتل الحيوان الذي لا يؤذي عبثاً بدليل قوله : « إلا أمم أمثالكم » ، ففي مساواته بين ذلك وبين المكلفين إشارة الى أن الانسان يُدانُ بما يفعله مع كل جسم قابل للحياة ، وفي دواب

الأرض مالا حرج على قاتله ، كالذباب والبعوض والنمل والعقارب والجعلان وسائر الهمج . فأراد تبيين هذا الصنف من هذا النوع ، وهو أشرف أصنافه الذي امتنّ الله سبحانه على نبيّه داود عليه السلام بتسخيره له وعلى ابنه سليمان بتعليم منطقه ، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرحاً بأن الانسان يدان به : « من قتل عصفوراً عبثاً ... » الحديث ، فخصّص هذا الصنف بصفة مميزة له من بقية الأصناف فقال « يطير بجناحيه » ، لأنه لا يطلق الجناح حقيقة إلا على العضو الذي ليس له ريش وقصب وأباهر وخوافي وقوارم ، ليستدل بكون هذا الصنف من بين جميع أصناف الطائر هو المقصود بالنهي عن قتله وتعذيبه ، على أن المراد بالدابة المذكورة في صدر الآية هي الصنف الشريف من أصناف الدواب ، لتخرج الحشرات من ذلك النوع كما خرجت الهمج من نوع الطائر بتمييز الصنف المشار اليه منه، واكتفى بتبيين الثاني عن تبيين الأول لعلمه أن العارف بترتيب نظم الكلام يقيس الأول منه على الثاني . وفي صحيح مسلم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لتؤدنّ الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء .

الفوائد :

هل تزاد « من » في بقية المفاعيل ؟ الجواب إنها لا تزاد في المفعول معه والمفعول لأجله والمفعول فيه ، ووجه منع زيادتها أنهن في المعنى بمنزلة المجرور بالإضافة وباللام وبفي ، ولا تجامعهن « من » ، ولكن لا يظهر وجه للمنع في المفعول المطلق ، وقد خرّج عليه أبو البقاء قوله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ، فقال : من زائدة ،

وشيء في موضع المصدر ، أي : تفريطاً شيئاً ، فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه ، ثم زيدت « من » ، قال : ولا يكون مفعولا به ، لأنّ « فرط » إنما يتعدى إليه بـ « في » ، وقد عُدّي بها الى الكتاب ، قال : وعلى هذا فلا حجة في الآية لمن ظنّ أن الكتاب يحتوي على ذكر كل شيء صريحاً . والردّ على هؤلاء الظانّين بأن هذا لا يسلم إلا لو كان « من شيء » مفعولاً به لأن المعنى : ما فرطنا أي : ما تركنا شيئاً في الكتاب ، وأما لو جعل المفعول به « في الكتاب » وجعل قوله : « من شيء » مصدراً ، أي : ما فرطنا في الكتاب فلا دلالة له على ذلك . وزاد ابن هشام فقال : « وكذا لا حجة فيها لو كان « شيء » مفعولاً به ، لأن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، كما في قوله تعالى : « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » وهو رأي الزمخشري، والسياق يقتضيه.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾

الاعراب :

(والذين كذبوا بآياتنا صمٌّ وبكمٌ في الظلمات) الواو استئنافية، والكلام مستأنف مسوق لبيان مصير المكذبين . والذين مبتدأ ، وجملة كذبوا صلة الموصول لا محل لها ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، وصم خبر ، وبكم عطف على صم ، وفي الظلمات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ثان ، وقد وهم أبو البقاء فظنّ أنهما من باب « الرمان حلو حامض » ، فجعل الكلمتين خبراً ، وليس الأمر

كذلك ، لأن الاختلاف واضح بـين التعبيرين ، فكلمتا حلو حامض تعبران عن معنى واحد ، وهو مزّ ، أما صم وبكم فلكل واحدة منهما معناها القائم بها ، فالصمم عدم السمع ، والبكم عدم النطق ، وسيأتي مزيد لهذا البحث الفريد • (من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) كلام مستأنف مسوق لتقدير ما سبق من حالهم ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، ويشأ فعل الشرط ، ويضلله جوابه ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ومن يشأ يجعله عـلى صراط مستقيم عطف على الجملة السابقة ، ومفعول المشيئة في كلا الفعلين محذوف ، وهو مضمون الجزاء ، أي : إضلاله وهدايته •

الفوائـد :

يجوز أن يتعدد الخبر ، نحو : « زيد كاتب شاعر » ، وليس من تعدّد الخبر ما ذكره بعضهم من قولهم : « الرّمان حلو حامض » لأن معنى الخبرين راجع الى شيء واحد ، إذ معناهما مزّ •

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

الاعراب :

(قل أرأيتكم) الكلام مستأنف مسوق لطلب الإخبار عن حالتهم

العجيبة ، وأرأيتكم تعبير استفاض في كلامهم وكثرت فيهم أقوال العلماء والمعربين ، وسترى تلخيصاً مفيداً في باب الفوائد لما قيل فيه ، وهو على وجه الاختصار . الهمزة للاستفهام ؛ ورأى فعل ماض مبني على السكون ، والتاء فاعل ، والكاف حرف خطاب يدل على اختلاف المخاطب ، والتاء مفتوحة دائماً في جميع أحواله ، ومعنى الكلام : أخبروني عن حالتكم العجيبة ، وقد جرى ذلك على سبيل المجاز ، لأنه لما كان العلم بشيء سبباً للإخبار عنه أو الإبصار به طريقاً للإحاطة به علماً والى صحة الإخبار عنه استعملت الصيغة التي هي لطلب العلم أو لطلب الإبصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب ، ففيه مجازان : رأى بمعنى علم أو أبصر في الإخبار ، واستعمال الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار . هذا ولا يلزم من كون « أرأيت » بمعنى « أخبرني » أن يتعدى تعديته لأن أخبرني يتعدّى بـ « عن » ، وأرأيت يتعدى لمفعول به صريح ، وإلى جملة استفهامية في موضع المفعول الثاني . والمفعول الأول في هذه الآية محذوف ، تقديره : « أرأيتم إياه » أي : العذاب ؛ والثاني هو الجملة الاستفهامية ، وهي : « أغير الله تدعون »، (إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) إن شرطية، وأتاكم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والكاف مفعول به ، وعذاب الله فاعل ، وأو حرف عطف ؛ وأتتكم الساعة عطف على أتاكم ، وجواب الشرط محذوف تقديره : « فمن تدعون » ، وقيل : تقديره : « فأخبروني عنه أتدعون غير الله لكشفه » ؟ (أغير الله تدعون إن كنتم صادقين) الجملة استئنافية والهمزة للاستفهام ، وغير الله مفعول به مقدم لتدعون ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، وصادقين خبرها ، وجواب إن محذوف ، أي : إن كنتم صادقين في أن الأصنام تنفعكم فادعوها (بل إياه تدعون فيكشف

ما تدعون اليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ بل حرف إضراب وعطف، وإياه ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم لتدعون ، فيكشف عطف على تدعون ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول يكشف ، وجملة تدعون إليه صلة ، الواو حرف عطف وإن شرطية ، وشاء فعل الشرط ، والجواب محذوف لفهم المعنى و دلالة ما قبله عليه ، والمراد بها ما عبد من دون الله مطلقاً من العقلاء وغيرهم ، وغلب « غير الله » زيادة في التنديد بهم ، وتنسون معطوفة على تدعون ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة تشركون صلة « ما » .

الفوائـد :

﴿ أرأيتكم ﴾ هذه التاء من الأمور الغريبة في لغتنا ، وذلك أنه إذا أريد بـ « أريت » معنى « أخبرني » جاز أن تتصل به تاء الخطاب ، فإن لم تتصل به وجب للتاء ما يجب لها مع سائر الأفعال ، من تذكير وتأنيث ، وتثنية وجمع ، عما يلحق التاء مما يلزمها في خطـاب المفرد المذكر ، ولو كان الخطاب لاثنين لقيل : أرأيتكما ، أو للجمع لقيل : أرأيتكم ، أو للإناث لقيل : أرأيتكن ، فتلزم التاء الفتح والتجريد عن الخطاب ، والكاف في هذا حرف خطاب لا موضع لها من الاعراب ، واستدل سيبويه على ذلك بقول العرب : أرأيتك فلاناً ما حاله ؟ أما إذا لـم يرد بـ « أرأيت » معنى أخبرني فإنه يجب للتـاء والكـاف مجتمعتين ما يجب لهما منفردتين ، فيقال : أرأيتك قادراً أو أرأيتكما قادرين أو أرأيتكـم قادرين أو أرأيتكـنّ قادرات ، كما تقـول : أعلمتك قادراً .

خلاصة المذاهب في هذا التعبير :

إذا قررنا هـذا فنقول : اختلف العلماء في هـذه الآية على ثلاثة أقوال :

المذهب الأول :

إن المفعول الأول والجملـة التي سدّت مسد المفعول الثـاني محذوفان لفهم المعنى ، والتقدير : أرأيتكم عبادتكم الأصنام هـل تنفعكم ؟ أو اتخاذكم غير الله إلهاً هل يكشف عنكم العذاب ؟ ونحو ذلك ، فعبادتكم واتخاذكم مفعول أول ، والجملة الاستفهامية مسد الثاني ، والتاء هي الفاعل ، والكاف حرف خطاب ٠

المذهب الثاني :

إن الشرط وجوابه قد سدّا مسدّ المفعولين ، لأنهما قد حصلا المعنى المقصود ، فلم يحتج هذا الفعل الى مفعول ٠

المذهب الثالث :

إن المفعول الأول محذوف ، والمسألة من باب التنازع بين أرأيتكم وأتاكم ، والمتنازع فيه هو لفظ العذاب ٠

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

الاعراب :

(ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) الجملة القسمية كلام مستأنف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم . والواو استئنافية ، واللام جواب قسم محذوف ، وأرسلنا فعل وفاعل ، وإلى أمم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ؛ ومن قبلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأمم ، وجملة قد أرسلنا لا محل لها لأنها جواب للقسم المحذوف (فأخذناهم بالبأساء والضرّاء لعلهم يتضرّعون) الفاء حرف عطف ، وأخذناهم فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة معطوفة على محذوف تقديره : فكذبوا فأخذناهم ، وبالبأساء جار ومجرور متعلقان بأخذناهم ، والضراء عطف على قوله : بالبأساء ، ولعل واسمها ؛ وجملة يتضرعون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) الفاء استئنافية ؛ والكلام مستأنف مسوق لتوبيخهم وحثهم على الندامة والتخويف من العاقبة واللياذ بالتضرّع إليه تعالى . ولولا وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بتضرعوا ، وجملة جاءهم في محل جر بالإضافة ؛ وبأسنا فاعل تضرعوا (ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون) الواو حالية ، ولكن مخففة من الثقيلة مهملة ، فهي لمجرد الاستدراك ، وقست قلوبهم فعل ماض وفاعل ، والجملة حالية ، أي : والحال أنها استمرت على ما هي عليه من القساوة وجفاء الطبع .

وزين فعل ماض ، ولهم جار ومجرور متعلقان بزين ، والشيطان فاعل ، والجملة معطوفة ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة كانوا صلة ، والواو اسم كان ، وجملة يعملون خبرها .

الفوائـد :

(لولا) تكون على ثلاثة أوجه :

١ ــ حرف امتناع لوجود ، يمتنـع الشرط لوجود الجواب ، والاسم بعدها مبتدأ محذوف الخبر وجوباً ، ويجب كون الخبر كوناً مطلقاً . أما إذا كان مقيداً كالقيام والقعود فيجب ذكره ، ولذلك لحنوا أبا العلاء المعري بقوله يصف السيف :

يذيب الرّعب منـه كلّ عضب   فلولا الغمد يمسكه لسالا

وأجيب عنه بأن جملة يمسكه ليست خبراً وإنما هي بدل اشتمال من الغمد أو حالية ، وإذا وليها مضمر فحقه أن يكون ضمير رفع ، نحو قوله : « لولا أنتـم لكنّا مؤمنـين » . وسمع قليلاً : لولاي ولولاك ولولاه فهي عندئذ حرف جر ولا تتعلق بشيء .

٢ ــ حرف تحضيض وعرض ، فتختص بالمضارع أو مافي تأويله ، نحو : « لولا تستغفرون الله » و « لولا أخرتني الى أجل قريب » .

٣ ــ حرف توبيخ وتنديم ، فتختص بالماضي كهذه الآية ، وكثيراً ما ترافقها إذ الظرفية أو إذا، كقوله تعالى: « فلولا إذا بلغت الحلقوم ». وسيأتي مزيد بحث عنها في مواطنه .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

اللغة :

(مبلسون) : واجمون متحيرون آيسون .

(دابر) : الدابر : التابع من خلف ، أي آخرهم .

الاعراب :

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) الفاء استئنافية ، ولما ظرفية ، ونسوا فعل وفاعل ، وجملة نسوا في محل جر بالإضافة ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة ذكروا صلة الموصول ، وبه جار ومجرور متعلقان بذكروا ، وفتحنا فعل وفاعل . والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بفتحنا ، وأبواب مفعول به ، وكل شيء مضاف إليه (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) حتى ابتدائية أو غائية ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بأخذناهم ، وجملة فرحوا في محل جر بالإضافة ، وبما جار ومجرور متعلقان بفرحوا ، وجملة أوتوا صلة الموصول ، وأوتوا فعل ماض مبني

للمجهول والواو نائب فاعل ، وجملة أخذناهم من الفعل والفاعل والمفعول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وبغتة حال أو مفعول مطلق ، فإذا الفاء عاطفة ، وإذا هي الفجائية وهي حرف على ما اخترناه ، وهم مبتدأ ، ومبلسون خبر ، والجملة استئنافية . (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) الفاء عاطفة ، وقطع فعل ماض مبني للمجهول ، ودابر نائب فاعل ، والقوم مضاف إليه ، والذين اسم موصول في محل جر نعت للقوم ، وجملة ظلموا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والحمد الواو استئنافية ، والحمد مبتدأ ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ورب نعت أو بدل ، والعالمين مضاف اليه .

الفوائد :

(إذا الفجائية) فيها ثلاثة مذاهب :

١ ـ مذهب سيبويه : وهو أنها ظرف مكان أو زمان .

٢ ـ مذهب جماعة آخرين من البصريين : وهو أنها ظرف زمان . وفي الحالين تتعلق بالخبر وهو قوله : مبلسون ، أي أبلسوا في زمان إقامتهم أو مكانها .

٣ ـ مذهب الكوفيين : وهو أنها حرف فلا تتعلق بشيء . وهذا ما اخترناه . وسترد تفاصيل عنها في مواطنها .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم

مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٤٧) ﴾

اللغـة :

(يصدفون) في المختار : « صدف عنه : أعرض ، وبابه ضرب وجلس . وأصدفه عنه كذا : أماله عنه » ، وصادفه قابله عـلى قصد وبدونه ، فما تقوله العامة : صدفة خطأ ولحن . وزعم صاحب المنجد أن الصدفة بكسر الصاد : لفظة مولّدة بمعنى المصادفة والاتفاق .

الاعراب :

(قل : أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم) كلام مستأنف مسوق لأخذ الحجة عليهم ، وقطع الطريق على مكابرتهم. وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت يا محمد ، والهمزة للاستفهام التقريري ، ومفعول رأيتم الأول محـذوف تقديره : أرأيتم سمعكم وأبصاركم إن أخذها الله ؟ والجملة الاستفهامية الآتية وهي : « من إله » في موضع المفعول الثاني ، وإن شرطية ، وأخذ فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والجواب محذوف ، وقد تقـدم إعراب نظـيره في : « أرأيتكم » ، ولم يؤت هنا بكاف الخطاب كما أتى به هنـاك لهول التهديد في الأول ، ووحد السمع وجمع الأبصار لسرّ تقدم ذكره في

سورة البقرة ، وقيل : جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع فتكون موحدة لتوحيده ، وجائز أن تكون موحدة لتوحيد « من » ، أي : من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة ؟ وسمعكم مفعول به وأبصاركم عطف،وجملة ختم معطوفة وعلى قلوبكم متعلقان بختم . (مَن إله غير الله يأتيكم به) من اسم استفهام للتوبيخ ، وهو مبتدأ ، وإله خبره ، وغير الله صفة ، وجملة يأتيكم صفة ثانية ، وبه جار ومجرور متعلقان بيأتيكم (انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون) الجملة مستأنفة ، وانظر فعل أمر ، وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، وقد علقت انظر عن العمل ، وجملة نصرف الآيات في محل نصب مفعول به ، والآيات مفعول به ، وثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وهم مبتدأ ، وجملة يصدفون خبر (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة) تقدم الكلام في أرأيتكم قريباً ، وإعراب بغتة أو جهرة (هل يُهلك إلا القوم الظالمون) إلا أداة حصر ، والقوم نائب فاعل ، والظالمون صفة .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لتبيان مهام الرسالة ، ودقة التكليف الذي يتمرس به المرسلون . ونرسل المرسلين فعل وفاعل مستتر ومفعول به ،

وإلا أداة حصر ، ومبشرين حال ، ومنذرين عطف على مبشرين (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وآمن فعل ماض وهو فعل الشرط ، وأصلح عطف عليه والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا نافية مهملة وخوف مبتدأ ، وعليهم خبر ، ولا هم يحزنون الجملة عطف على الجملة الأولى ، وجملة « لا خوف عليهم » في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » ، ويجوز أن تكون « من » موصولة لمناسبة ما بعدها ، فتكون في محل رفع مبتدأ ، وتكون جملة : « لا خوف عليهم » هي الخبر للموصول ، وجيء بالفاء لما في الموصول من رائحة الشرط (والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون) الواو عاطفة أو استئنافية ، والذين مبتدأ ، وجملة كذبوا صلة ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا ، وجملة يمسهم العذاب خبر اسم الموصول ، وبما الباء حرف جر ، وما مصدرية ، والمصدر المؤول مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بيمسهم ، أي : بسبب فسقهم ، وكان واسمها ، وجملة يفسقون خبرها •

البلاغة :

في قوله : «يمسهم العذاب» استعارة تصريحية تبعية كأن العذاب كائن حي يفعل بهم ما يريده من الآلام • وقد تقدم أمثالها كثيراً •

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ

لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

الاعراب :

(قل : لا أقول لكم عندي خزائن الله) الكلام مستأنف مسوق لتنزيه نفسه مما يقترحونه عليه . وقل فعل أمر ، ولا نافية ، وأقول فعل مضارع ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأقول ، وجملة لا أقول مقول القول الأول ، ولكم متعلقان بأقول وعندي ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وخزائن الله مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب مقول القول الثاني (ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَك) جملة ولا أعلم الغيب معطوفة على جملة عندي خزائن الله لأنه من جملة مقول القول وجملة لا أقول لكم إني ملك معطوفة على جملة لا أقول لكم الأولى ، وإني ملك : ان واسمها وخبرها مقول القول أيضاً . (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) الجملة داخلة في حيز المقول الذي لم ينته بعد ، وإن نافية ، وإلا أداة حصر ، و « ما » اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة يوحى صلة الموصول ، ونائب الفاعل مستتر ، وإلي جار ومجرور متعلقان بيوحى (قل : هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) كلام مستأنف لتتمة الوصايا ، وهل حرف استفهام معناه النفي ، أي : لا يستويان ، ويستوي فعل مضارع ، والأعمى فاعله ، والبصير عطف على الأعمى ، والجملة في محل نصب مقول القول ، أفلا الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة ، ولا نافية ، وتتفكرون عطف على مقدر محذوف تقديره أي لا يستمعون هذا الكلام الذي يتلى عليكم فلا تتفكرون فيه وتتبينون مغابّه ؟

البلاغة :

الطباق بين الأعمى والبصير ، وهما تشبيهان بليغان للضال والمهتدي . ويجوز أن يعتبرا من باب الاستعارة التصريحية ، لأن المشبّه لم يذكر وذكر المشبه به .

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الاعراب :

(وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الواو عاطفة ، والكلام معطوف على ما تقدم معدولا به إلى توجيه الانذار للذين يتفرس فيهم قبول الاتعاظ والاستعداد لتقبّله، وهم المؤمنون العاصون. وأنذر فعل أمر ، وبه جار ومجرور متعلقان بأنذر ، والذين اسم موصول مفعول به ، وجملة يخافون صلة الموصول ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول يخافون (ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع)

لعلهم يتقون) الجملة حال من الضمير في أن يحشروا ، أي : أنذر به هؤلاء الذين يخافون الحشر حال كونهم لا ولي لهم يواليهم ولا نصير ولا شفيع يشفع لهم من دون الله ، وليس فعل ماض ناقص ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس ، ومن دونه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وولي اسم ليس ، ولا شفيع عطف على ولي ، ولعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ) الواو حرف عطف ، ولا ناهية ، وتطرد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والفاعل مستتر تقديره أنت ، والذين اسم موصول مفعول به وجملة يدعون صلة وربهم مفعول به وبالغداة جار ومجرور متعلقان بيدعون ، والعشي عطف على الغداة (يريدون وجهه) الجملة حال من ضمير يدعون ، أي : يدعونه مخلصين ، ووجهه مفعول به (ما عليك من حسابهم من شيء) ما يجوز أن تكون الحجازية العاملة عمل ليس فيكون « عليك » في محل نصب على أنه خبرها ، عند من يجوز إعمالها في الخبر المقدّم ، إذا كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، أما في حال المنع فيكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مقدم ، والمبتدأ المؤخر هو « شيء » زيدت فيه « من » .وقوله من حسابهم حال ، وصاحب الحال هو « شيء » لأن الجار والمجرور لو تأخرا عنه لتعلقا بمحذوف صفة له ، وصفة النكرة متى تقدمت انتصبت على الحال ، وجملة ما عليك إلخ حال أيضاً (وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) الواو عاطفة ، وما من حسابك عليهم من شيء تقدم إعرابها ، إلا أن من حسابك يشكل جعلها حالاً لأنه يلزم تقدم الحال على عامله المعنوي، وهو ضعيف ، ولو جاءت الجملة الثانية على نمط الأولى لكان التركيب: وما عليهم من حسابك من شيء ، فتقدم المجرور بعلى كما قدمته في الأولى ، لكنه قدمه تشريفاً له صلى الله عليه وسلم ليكون الخطاب

مواجهاً له ، وإذن أنت مضطر أن تجعله صفة مقدمة على موصوفها . فتطردهم الفاء هي السببية وهي جواب النفي ، وتطردهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ، فتكون الفاء أيضاً سببية ، وهي جواب النهي ، فتأمل دقّة الفرق بين معنى الفاءين . ويجوز أن تجعل الفاء الثانية عاطفة . وتكون معطوفة على تطردهم على وجه التسبيب ، لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم ، ومن الظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكون .

البلاغة :

١ ـ في قوله : « يريدون وجهه » أي : ذاته وحقيقته : مجاز مرسل ، والعلاقة ذكر البعض وإرادة الكل ، وهو مجاز سائغ في كلامهم .

٢ ـ في قوله : «وما من حسابك عليهم من شيء» فنّ ردّ العجز على الصدر ، وهو أن يجعل المتكلم أحد اللفظين المتفقين في النطق والمعنى ، أو المتشابهين في النطق دون المعنى أو اللذين يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق ، في آخر الكلام بعد جعل اللفظ الآخر له في أوله . ومنه قول البحتري :

ضرائب أبدعتها في السّماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا

وقول أبي تمام :

ولم يحفظ مضاع المجد شيء من الأشياء كالمال المضاع

وقول المعرّي :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم والعذب يهجر للإفراط في الخصر

وبيت الحماسة المشهور :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار

الفوائد :

روي أن رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو طردت عنا هؤلاء الأعبد ، يعنون فقراء المسلمين ، وهم عمار بن ياسر وصهيب وبلال وأرواح جبابهم ـ وكانت عليهم جباب من صوف لمداومة لبسها ولعدم وجود غيرها ـ جلسنا إليك وحادثناك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ما أنا بطارد المؤمنين . فقالوا : فأقمهم عنّا إذا جئنا ، فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت . فقال : نعم ، طمعاً في إسلامهم . فقالوا فاكتب لنا كتاباً عليك بذلك ، فأتى بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ، فنزل عليه جبريل بقوله : « ولا تطرد .. » الآية . وهذا من أروع مثل المساواة الاسلامية .

﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾

اللغـة :

(فتنا) : اختبرنا وابتلينا .

(منّ) : أنعم ، وله عليّ منّة ومنن ، ومنّ عليّ بما صنع ، وامتننت منك بما فعلت منّة جسيمة أي : احتملت منّة ، وليس لقلبه منّة أي : قوّة . ومادة الميم والنون تفيد الإعطاء والمنع على الأغلب ، ومنه : منح وفلان منّاح ، وفلان يعطي المنائح والمنح ، ومنح الشيء ومنه وعنه ، وهو منوع ومنّاع . وهذا من غرائب لغتنا التي لا تقف عند حدّ .

الاعراب :

(وكذلك فتنّا بعضهم ببعض) الكلام مستأنف مسوق لبيان أن الاسلام جعل المساواة شرعة ومنهاجاً ، لأن الله ابتلى الغني بالفقير والفقير بالغنيّ ، وكل مبتلى بضده حتى تعم المساواة ، فلا رفيع ولا وضيع ، ولا كبير ولا صغير ، والكاف في محل نصب على أنها نعت لمصدر محذوف ، أو هي حرف جر ، واسم الاشارة في محل جر ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف ، وقد تقدم بحثه ، وسيبويه يختار إعرابه حالاً ، وبعضهم مفعول به ، وببعض جار ومجرور متعلقان بفتنّا (ليقولوا : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) اللام للتعليل ، ويقولوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والتقدير : ومثل ذلك الفتون فتنا ليقولوا هذه المقالة ابتلاء منا وامتحاناً ، ويجوز أن تكون اللام هي

لام الصيرورة أو العاقبة ، ويكون قوله : « أهؤلاء » صادراً عنهم على سبيل الاستخفاف بالمؤمنين ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ؛ والهمزة للاستفهام التقريري والتهكمي ، وهؤلاء اسم إشارة في محل رفع مبتدأ،وجملة«منّ» الله خبر ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ « مَنَّ » ، ومن بيننا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، ويجوز أن نعرب « هؤلاء » نصباً على الاشتغال بفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر العامل في ضميره بواسطة « على » ، ويكون المفسر من حيث المعنى لا من حيث اللفظ ، والتقـدير : أفضل الله هؤلاء ومنّ عليهم أو اختارهم ، وتكون جملة منّ الله عليهم لا محل لها من الاعراب لأنها مفسرة ، وإنما ساغ هذا الوجه وفضله الكثيرون لأنه ولي همزة الاستفهام ، وهي أداة يغلب إيلاء الفعل بعدها . وقوله : أليس الهمزة للاستفهام التقريري ، وليس فعل ماض ناقص ، والله اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وأعلم مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ليس ، وبالشاكرين جار ومجرور متعلقان بأعلم ، والجملة الاستفهامية مستأنفة مسوقة لتكون جواباً للاستفهام التقريري (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق للعودة الى ذكر المؤمنين الذين نهي عن طردهم وإذ ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق الجواب ، أي : فقل سلام عليكم وقت مجيئهم ، وجملة جاءك في محل جر بالإضافة ، والذين فاعل ، وجملة يؤمنون صلة ؛ فقل الفاء واقعة في جواب الشرط ، وسلام مبتدأ ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لما فيه من معنى الدعاء ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وجملة قل لا محل لها لأنها جواب شرط غـير جازم ، وجملة سلام عليكم في محل نصب مقول القول (كتب ربكم على نفسه الرحمة) الجملة داخلة في حيز المقول لأنه من جملة ما يقوله

لهم ، وكتب ربكم فعل وفاعل، وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بكتب. والرحمة مفعول به (أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم) قرىء بفتح الهمزة ، فتكون أن واسمها في موضع نصب بدل من الرحمة ، وتكون الجملة منتظمة في حيز القول . وفي قراءة بكسر الهمزة ، فالجملة استئنافية مسوقة لتفسير الرحمة ، وتكون الهاء ضمير الشأن اسم إن . ومن اسم شرط جازم أو موصولية ، وهي مبتدأ على كل حال ، وعمل فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وسوءاً مفعول به ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل عمل ، وبجهالة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً من الفاعل نفسه ، أي : عمل وهو جاهل بحقيقة ما ينجم عنه من المضارّ والمثالب ، وسوء العواقب ، ثم حرف عطف ، وتاب عطف على تاب ، وأصلح عطف عليه أيضاً ، والفاء رابطة لجواب الشرط، وأن المفتوحة الهمزة وما في حيزها خبر لمبتدأ محذوف ، أي : فأمره ومآله غفران الله له ، وغفور رحيم خبران لأن ، وقرىء بكسر همزة إن على الاستئناف ، ورجحها ابن جرير على أنه استئناف لوقوعها بعد الفاء ، وجملة من عمل خبر إن ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٥٥) قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

الاعراب :

(وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) كلام مستأنف مسوق لبيان الغاية من تفصيل الآيات • وكذلك في محل نصب مفعول مطلق ، والآيات مفعول به ، والواو عاطفة على محذوف ، والتقدير : ليظهر الحق ولتظهر سبيل المجرمين ، واللام للتعليل ، وتستبين فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، وسبيل فاعل ، والسبيل مؤنثة وقد تذكر ، وقد قرىء : « ليستبين » ، فتأنيث الفعل لتأنيث السبيل وتذكيره لتذكيره (قل : إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) كلام مستأنف مسوق للرجوع إلى مخاطبتهم حسماً لأطماعهم الفارغة • وقل فعل أمر ، وإن واسمها ، وجملة نهيت خبرها ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بنهيت ، والمعنى : ونهيت عن عبادة الذين تدعون • والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة تدعون صلة الموصول ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بتدعون (قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذن وما أنا من المهتدين) الكلام مستأنف مسوق ليرجع صلى الله عليه وسلم إلى مخاطبتهم وكرره مع قرب ذكره زيادة في التأكيد • وجملة لا أتبع أهواءكم في محل نصب مقول القول ، وجملة قد ضللت مستأنفة مسوقة منه صلى الله عليه وسلم لتأكيد انتهائه عما نهي عنه • وإذن حرف جواب وجزاء ، فيه معنى الشرط ، والمعنى : إن اتبعت أهواءكم ضللت وما اهتديت • فهي في قوة شرط وجواب ، والواو حرف عطف ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وأنا اسمها ، ومن المهتدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، وإنما عدل عن الفعلية إلى الاسمية للدلالة على الديمومة والاستمرار •

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(قل : إني على بينة من ربي) كلام مستأنف لبيان الحق الذي يتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وإزهاق الباطل الذي يتبعونه . قل فعل أمر وجملة إني على بينة مقول القول ، وإن واسمها ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، ومن ربي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة (وكذّبتم به ما عندي ما تستعجلون به) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لاستقباح تكذيبهم . ويجوز أن تكون حالية ، فالجملة في محل نصب على الحال ، ولا بدّ من تقدير « قد » عندئذ . وكذبتم فعل وفاعل ، وبه متعلقان بتستعجلون ، وما نافية . وعندي ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول في محلّ رفع مبتدأ مؤخر ، وجملة تستعجلون صلة الموصول، وبه جار ومجرور متعلقان بتستعجلون ، وجملة ما عندي مستأنفة (إنِ الحكم إلا لله يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الحكم هو لله سبحانه . وإن نافية ، والحكم مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر الحكم ، وجملة يقصّ الحق في محل نصب على الحال ، والحق مفعول به ، وفي

قراءة : « يقضي الحق » بالضاد ، من القضاء بمعنى الحكم والفصل بالقضاء ، ورجّحها ابن جرير قال : « لأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصيص ، والحق عندئذ صفة لمصدر محذوف أي : ايقضي القضاء الحق ، والواو استئافية أو حالية ، وهو مبتدأ ، وخير الفاصلين خبر (قل : لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم) الجملة مستأنفة لبيان أن الأمر راجع إلى الله تعالى ، ولو شرطية . وأن وما في حيزها في محل رفع فاعل لفعل محذوف ، تقديره ثبت ، والجملة في محل نصب مقول القول ، والظرف متعلق بمحذوف خبر أن المقدم ، وما اسم موصول في محل نصب اسم أن المؤخر ، وجملة تستعجلون صلة الموصول ، وبه جار ومجرور متعلقان بتستعجلون ، واللام واقعة في جواب لو ، وقضي فعل ماض مبني للمجهول . والأمر نائب فاعل ، والجملة لا محل لها لأنها جواب لشرط غير جازم ، وبيني ظرف مكان متعلق بقضي ، وبينكم ظرف أيضا معطوف على الظرف السابق (والله أعلم بالظالمين) كلام مستأنف ، والله مبتدأ . وأعلم خبر ، وبالظالمين جار ومجرور متعلقان بأعلم .

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

اللغة :

(المفاتح) : جمع مفتح بكسر الميم ، وهو المفتاح ، وقرىء

مفاتيح • وقيل : مفاتيح جمع مفتاح ، وهو الذي يتوصل به إلى ما في المخازن المتوثق منها بالإغلاق • وقيل : هو جمع مفتح : بفتح الميم وكسر التاء ، وهو المخزن ، وزناً ومعنى •

الاعراب :

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) الكلام مستأنف مسوق لبيان أن الأمور الغيبية مختصة به سبحانه والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر ، وجملة لا يعلمها في محل نصب على الحال من مفاتح ، والعامل فيها الاستقرار الذي تعلق به الظرف ، وإلا أداة حصر ، وهو فاعل أو تأكيد للفاعل المستتر ، ولعله أولى (ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) الواو استئنافية ، وما نافية ، ويعلم فعل مضارع ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وفي البر جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة « ما » والبحر عطف على البر ، والواو حرف عطف وما نافية ، وتسقط فعل مضارع مرفوع ، ومن حرف جر زائد ، وورقة مجرور لفظاً بمن مرفوع محلاً على أنه فاعل تسقط ، وإلا أداة حصر ، وجملة يعلمها حال من ورقة . وجاء الحال من النكرة لاعتمادها على النفي (ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) الواو حرف عطف ، وحبة معطوفة على ورقة بالجر لفظاً ، ولو قرىء « حبةٌ » بالرفع بالعطف على المعنى لجاز ، ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة أيضاً ، وإلا أداة حصر ، وفي كتاب جار ومجرور وهو تكرار لقوله : إلا يعلمها ، على أنه بدل اشتمال ، فهو في محل نصب على الحال •

البلاغــة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من البلاغة نلخصها فيما يلي :

١ ــ الاستعارة التصريحية في قوله : « مفاتح الغيب » ، كأن للغيب مفاتيح بيده تعالى يكشف بها ما غمض على الناس .

٢ ــ الاستعارة التصريحية في قوله : « ظلمات » لشدائد البر والبحر وأهوالهما التي تبطل الحواس وتدهش العقول ، لأن الظلمات تبطل حاسة البصر ، ومن ثم قيل لليوم الشديد العصيب : يوم مظلم ، ويوم ذو كواكب ، لأن الكواكب لا تظهر إلا في الظلمة ، على طريق الاستعارة التصريحية .

٣ ــ الطباق بين البر والبحر ، والرطب واليابس ، فهي مقابلة .

٤ ــ التكرير في قوله : « إلا يعلمها » ، وفي قوله : « إلا في كتاب مبين » ، لأنه بمثابة « إلا يعلمها » ، وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده ، لأنه لما عطف على « ورقة » بعد أن سلب الايجاب المقصود للعلم في قوله : « إلا يعلمها » وكانت هذه المعطوفات داخلة في إيجاب العلم ، وهو المقصود ، وبعد ارتباط آخرها بالإيجاب السالف ، كان ذلك جديراً بتجديد العهد بالمقصود ، ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة في القرآن التجديد بعبارة أخرى ، ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مسلولة بالتكرير .

٥ ــ حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي : وهو أن يأتي المتكلم إلى نوع ما فيجعله بالتعظيم له جنساً بعد حصر أقسام الأنواع منه

والأجناس ، فإنه سبحانه بعد أن أخبر بأن عنده مفاتيح كلّ غيب ، إذ اللام للجنس ها هنا مجملاً في القول ؛ تمدّح بأنه يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوان والنبات والجماد ، وحاصر الكليات المولدات ، ورأى سبحانه أن الاختصار على ذلك لا يكمل به معنى التمدح لاحتمال أن يظنّ ضعيف أنه يعلم الكليات دون الجزئيات ؛ فإن المولدات الثلاث ـ وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى العالم ـ فكل واحد منها كليّ بالنسبة الى ما تحته من الأجناس المتوسطة والأنواع وأصنافها . فقال لكمال التمدّح : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها » ، وعلم أن علم ذلك قد يشاركه فيه من مخلوقاته كل من خلق له إدراكاً وهداه إلى طريق ذلك . فشارك فيه فتمدح بما لا يشارك فيه بقوله : « ولا حبة في ظلمات الأرض » ، ثم ألحق هذه الجزئيات بعد حصرها بالكليات حيث قال : « ولا رطب ولا يابس » لأن جميع المولّدات وعناصرها التي تولدت منها ـ ما كان منها في باطن الأرض وما خرج الى ظاهرها ـ لا يخرج عن هذين القسمين . وألغى ذكر المعتدل فإنه ممتزج من هذين القسمين.فاستغنى بذكر الأصل عن الفرع.ثم قال : « إلا في كتاب مبين » إشارة إلى أن علمه بذلك علم من معلومه مفيد في كتاب مبين . فهو يأمن الضلال والنسيان .

نماذج شعرية :

وقال أبو الطيّب المتنبي رامقاً هذه السّماء العالية من البيان :

هي الغرض الأقصى ورؤيتك المنى

ومنزلك الدنيا وأنت الخلائق

فقد قصد تعظيم ممدوحه ، فجعل منزلة الّذي هو الجزئي كلّيّاً ، وهو الدنيا ، وجعل ذاته التي هي جزئية كلية ، وهي الخلائق ، فجعل الجزئيّ كلّيّاً . وأما حصر أقسام الجزئيّ فلأن العالم إما حيوان بجسمه وعرضه ، والمنزل شامل لهما ، ومثله لأبي الفرج الببغا :

ما بأرضٍ لم تبد فيها صباحٌ
ما بدارٍ حللت فيها ظلامُ

وإذا ما أقمت في بلد فَهْـ
يَ جميع الدّنيا وأنت الأنام

فقد حصر جميع أقسام الجزئيّ بالطّريقة التي ذكرناها ، وألحقه بالكلّيّ . وقال أبو الحسن السّلاميّ :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل
قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي والظّلام وصارمي
ثلاثة أشباه كما اجتمع النسر

فسرت بآمالي لملك هو الورى
ودار هي الدّنيا ويوم هو الدهر

والبيت الأخير هو المراد ، فقد أراد الشاعر تعظيم ممدوحه ، وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ، وتبجيل يومه الذي لقيه ، فجعل الممدوح جميع الورى ، وجعل داره التي قصده فيها كل الدنيا ، وجعل

يومه الذي لقيه فيه جملة الدهر ، فجعل الجزئي كلّياً بعد حصر أقسام الجزئي . أما جعله الجزئيّ كلّياً فإن الممدوح جزء من الورى ، وداره جزء من الدنيا ، ويوم لقائه جزء من الدهر . وأما حصر أقسام الجزئي فلأن العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان ، وقد حصر ذلك كلّه في ذكر الممدوح ، وذكر داره ، وذكر يوم لقائه . وأما الحاق الجزئي بالكلّي فلكونه ألحق الممدوح بجميع الورى في كونه جعله وزن جميع الورى ، على حدّ قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر … أن يجمع العالم في واحد

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

اللغة :

(جرحتم) كسبتم وفي المصباح : وجرح من باب نفع واجترح : عمل بيده واكتسب : ومنه قيل لكواسب الطير والسّباع : جوارح ، لأنها تكسب بيدها .

الاعراب :

(وهو الذي يتوفاكم بالليل) كلام مستأنف مسوق لخطاب

الكفرة . وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة يتوفاكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبالليل جار ومجرور متعلقان بيتوفاكم (ويعلم ما جرحتم بالنهار) الواو حرف عطف ، ويعلم عطف على يتوفاكم ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول يعلم ، وجملة جرحتم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ويجوز أن تكون « ما » مصدرية والمصدر المؤول مفعول جرحتم (ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجل مسمّى) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، ويبعثكم عطف على يتوفاكم ، وفيه جار ومجرور متعلقان بيبعثكم ، واللام للتعليل ، ويقضى فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بيبعثكم ، وأجل نائب فاعل ومسمى صفة (ثمّ إليه مرجعكم ثمّ ينبئكم بما كنتم تعملون) عطف على الجملة السابقة ، وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، ثم ينبئكم عطف أيضاً ، وبما جار ومجرور متعلقان بينبئكم ، وجملة كنتم تعملون لا محل لها لأنها صلة ، وجملة تعملون خبر كنتم .

البلاغة :

في هذه الآية « التنزيل المنظوم » ، وهو ما ورد في القرآن موزوناً بغير قصد الشعر ، وذلك في قوله : « ويعلم ما جرحتم بالنهار » فهو شطر بيت من البحر الوافر . وقد وجد في القرآن ما هو بيت تامّ أو مصراع ، فلا يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم الشاعر . وسنورد لك طائفة من الآيات التي وردت منظومة ، ولا تعرّج على القائلين بأنها شعر . فمن ذلك قوله تعالى من الطويل وهو مصراع بيت : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ومن المديد « واصنع الفلك

بأعيننا » • ومن البسيط : « فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم » • ومن الخفيف : « لا يكادون يفقهــون حديثاً » • وقد يكون بيتاً كاملاً كقوله وهو من مجزوء الرمل : « وجفان كالجوابي وقدور راسيات » •

وجفـــان كالجــوابي وقــــدور راسيات

وقوله من البحر نفسه :

لن تنالـــوا البرّ حتى تنفقوا ممـــا تحبّون

ومن مجزوء الكامل :

والله يهـــدي من يشا ء إلى صراط مستقيــم

ومن المجتثّ :

نبّىء عبـــاديَ أنّي أنا الغفور الرحيـــم

وقد تلاعب الشعراء في هذا الموضوع وضمنوا أبياتهـم آيات وردت منظومة بغير قصد ، فورد بعضها طريفاً حلواً • وقد ذكر عن أبي نواس أنه ضمن ذلك بقوله :

وفتية في مجلس وجوههـــم ريحانهم قد عدموا التثقيــلا
دانيـــة عليهـــمُ ظلالهـــا وذلّلت قطوفهـــا تذليـــلا

وهو من الرّجز ولا بد من إشباع الميم في « عليهم » ليستقيم الوزن • ولا مندوحـــة هنا عن الاشارة إلى أنه قد نشب بين العلمـاء خلاف حول جواز اقتباس الآيات الكريمة ، والذي عليه الجمهور منهم

أنه جائز شريطة ألا يسف الناظم الى المعاني والموضوعات التي لا تتفق مع جلال القرآن . ومن طريف ما يذكر بهذا الصدد أن بعضهم نظم بيتاً قال فيه :

وما حسن بيت لـــه زخرف   تراه إذا زلزلت لـــم يكـن

ثمّ توقّف لأنه استعمل فيه هذه الألفاظ القرآنية في الشعر فجاء إلى شيخ الاسلام تقي الدين بن دقيق العيد ليسأله عن ذلك ، وأنشده البيت ، فقال له الشيخ : قل : فما حسن كهف ، فقال له : يا سيدي أفدتني وأفتيتني .

﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) كلام مستأنف مسوق لبيان أنه سبحانه هو الغالب القاهر المتصرف بأمور العباد . وهو مبتدأ ، والقاهر خبره ، وفوق ظرف متعلق بمحذوف حال ، أي : مستعلياً ، ويرسل الواو استئنافية ، ولا بأس بأن تكون عاطفة ، من باب عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية ، وعليكم جار ومجرور

متعلقان بيرسل ، وحفظة مفعول به ، ويجوز تعليق الجار والمجرور بحفظة ، لأنه جمع حافظ ، وهو اسم فاعل ، أي : يرسل من يحفظ عليكم أعمالكم (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) حتى ابتدائية أو غائية ، وقد تقدمت كثيراً ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بتوفته ، وجملة جاء في محل جر بالإضافة ، وأحدكم مفعول به مقدم ، والموت فاعل مؤخر ، وجملة توفته رسلنا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وهم لا يفرطون) الواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة لا يفرطون في محل رفع خبر ، والجملة حال . ولك أن تجعل الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يفرطون بشيء من أمور العباد (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وردوا فعل ماض مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وجملة ردوا عطف على توفته ، وإلى الله جار ومجرور متعلقان بردوا ، ومولاهم بدل من الله أو نعت له ، والحق نعت لمولاهم (ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) ألا حرف تنبيه واستفتاح ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والحكم مبتدأ مؤخر ، والواو حرف عطف ، وهو مبتدأ ، وأسرع الحاسبين خبره ، والجملة مستأنفة .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

الاعراب :

(قل مَن ينجّيكم من ظلمات البر والبحر) كلام مستأنف لإقامة الحجة على البشر الظالم الذي يبدو ضعيفاً حين يقع في الشدة ، فإذا انزاحت عنه رجع إلى غيّه وعنفوانه وغطرسته . وقل فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وجملة ينجيكم خبر ، ومن ظلمات جار ومجرور متعلقان بينجيكم ، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ، والبر مضاف إليه ، والبحر عطف على البرّ (تدعونه تضرّعاً وخفية) جملة تدعونه في محل نصب على الحال من الكاف في ينجيكم ، أي : ينجيكم حال كونكم داعين إياه . أما ما جنح إليه الجلال من تقدير ظرف ، وجعلها في محل جر بالإضافة ، فهو بعيد جداً ، لأن حذف المضاف إلى الجملة لم يسمع في كلامهم . وتدعونه فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به ، وتضرعاً وخفية مصدران في موضع الحال من الواو ، أي : تدعونه حال كونكم متضرعين مسرّين . ويجوز إعرابهما على أنهما مصدران من معنى العامل لا من لفظه ، كقولهم : قعدت جلوساً (لئن أنجانا من هذه لنكوننّ من الشاكرين) هذه الجملة منصوبة بإرادة القول ، والقول حال ، أي : تدعونه قائلين ذلك . ويجوز أن تكون لا محل لها من الاعراب لأنها مفسرة للدعاء ، واللام موطئة للقسم ، وإن شرطية وأنجانا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاعل هو ، ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به ، ومن هذه جار ومجرور متعلقان بأنجانا ، والإشارة الى الظلمات ، وهي تجري مجرى الواحدة ، ولنكونن اللام واقعة في جواب القسم ، وجملة نكونن من الشاكرين لا محل لها لأنها جواب القسم لتقدمه

حسب القاعدة ، وحذف جواب الشرط لتأخره ، على حد قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم

جواب ما أخرت فهو ملتزم

ومن الشاكرين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونن (قل الله ينجيكم منها) الجملة مستأنفة ، والله مبتدأ ، وجملة ينجيكم خبره ، ومنها جار ومجرور متعلقان بينجيكم ، أي من الظلمات ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) الواو حرف عطف ، ومن كل كرب عطف على الضمير المجرور وإعادة حرف الجر ، كما هي القاعدة ، وثم حرف عطف ، وأنتم مبتدأ ، وجملة تشركون خبر .

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

اللغة :

(يلبسكم) : يخلطكم ، ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا أو يشتبكوا في ملاحم القتال ، على حد قوله :

وكتيبة لبّستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي

(شيعاً) : جمع شيعة ، كسدرة وسدر ، قال الراغب ، والشيعة من يتقوى بهم الانسان ، والجمع شيع وأشياع .

الاعراب :

(قل : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) الكلام مستأنف مسوق لبيان قدرته تعالى على التطويح بهم في المتالف والمهالك . وهو مبتدأ والقادر خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ،وعلى حرف جر ، وأن يبعث مصدر مؤول مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بالقادر ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيبعث ، وعذاباً مفعول به ، ومن فوقكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لقوله « عذاباً » ، أو من تحت أرجلكم عطف على قوله من فوقكم (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) أو حرف عطف ، ويلبسكم معطوف على يبعث ، وشيعاً نصب على الحال ، ويذيق عطف على يلبس ، وبعضكم مفعول به أول ليذيق وبأس بعض مفعول يذيق الثاني (انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) الجملة مستأنفة. وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال أو مفعول مطلق ، ونصرف الآيات فعل مضارع ومفعول به ، والجملة في محل نصب مفعول لانظر ، ولعلهم لعل واسمها ، وجملة يفقهون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

﴿ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

اللغـة :

(مستقر) اسم زمان ، ويجوز أن يكون اسم مكان ، من استقر بمعنى ثبت .

الاعراب :

(وكذب به قومك وهو الحق) كلام مستأنف لبيان تكذيبهم بالعذاب المتقدم ذكره . ويجوز أن يعود الضمير على القرآن . والجار والمجرور متعلقان بكذب ، وقومك فاعل ، والواو استئنافية أو حاليه ، فتكون الجملة مستأنفة أو حالية من الهاء في : « به » ، أي : حال كونه حقاً ، وهو أشد إيغالاً في القبح (قل لست عليكم بوكيل) الجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم . وجملة لست في محل نصب مقول القول ، وليس فعل ماض ناقص ، والتاء اسمها ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بوكيل ، والباء حرف زائد ، ووكيل اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه خبر ليس (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) الجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على أن الأمور مرهونة بأوقاتها أو أماكنها . والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ونبأ مضاف إليه ، ومستقر مبتدأ مؤخر ، والواو حرف عطف وسوف حرف استقبال ، وتعلمون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

الاعراب :

(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الكلام مستأنف مسوق لأمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم في خوضهم في آياتنا . وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب ، وهو : فأعرض عنهم ، ورأيت فعل وفاعل ، والرؤية هنا بصرية ، ولذلك تعدّت لواحد، ولا بد حينئذ من تقدير حال محذوفة، أي : وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا متلبسين بالخوض فيها ، ويجوز أن تكون الرؤية قلبية ، وحذف المفعول الثاني للاختصار ، والذين مفعول به ، وجملة يخوضون صلة الموصول ، وفي آياتنا جار ومجرور متعلقان بيخوضون (فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وأعرض فعل أمر ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بأعرض ، وحتى حرف غاية وجر ، ويخوضوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، وفي حديث جار ومجرور متعلقان بيخوضوا ، وحتى الجارة ومجرورها المؤول متعلقان بـ « أعرض » ، وغيره صفة لحديث ، والضمير يعود على الآيات ، والتذكير باعتبارها قرآناً أو حديثاً (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) الكلام مستأنف مسوق لتقدير طروء النسيان بوسوسة الشيطان . وإن شرطية، وما زائدة ، أدغمت فيها نون « إن » ، أي : إن شغلك الشيطان بوسوسته حتى تنسى النهي عند مجالستهم . وينسينك فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط ، والنون نون التوكيد الثقيلة،

والكاف مفعول ينسينّك ، والشيطان فاعله ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا ناهية ، وتقعد فعل مضارع مجزوم بلا الناهية ، وبعد الذكرى ظرف زمان متعلق بتقعد ومع ظرف مكان متعلق بتقعد أيضاً ، والقوم مضاف اليه ، والظالمين صفة .

البلاغة :

١ ـ الاستعارة في الخوض لأنه في اللغة : الشروع في خوض الماء والعبور فيه ، وقد استعير للأخذ في الحديث والشروع فيه على أفانين متنوعة ، وأساليب متعددة ، على وجه العبث واللهو ، فهي استعارة مكنية تبعية .

٢ ـ الاختلاف في الشرط : قيل في الآية : « وإذا رأيت » فجاء الشرط بإذا لأن خوضهم في الآيات أمر غير مشكوك فيه ، وجاء الشرط الثاني بإن لأن إنساء الشيطان أمر مشكوك فيه ، قد يقع وقد لا يقع ، لأنه معصوم منه ، وقد تقدمت القاعدة ، فسبحان قائل هذا الكلام .

٣ ـ وضع الظاهر موضع المضمر . وقد تقدم بحثه للتنبيه على ظلمهم .

﴿ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن

دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

اللغة :

(ذكرى) مصدر ذكر ، ولم يجيء على فعلى بكسر الفاء غيره .

(عدل) بفتح العين ، أي : فداء لأن الفادي يعدل المفدّي بمثله . والعدل الفدية .

(تبسل) من البسل ، وأصله في اللغة التحريم والمنع ، يقال : هذا عليك بسل ، أي حرام ممنوع . والإبسال : مصدر مثل البسل ، وهو المنع . ومنه : أسد باسل ، لأن فريسته لا تفلت منه ، أو لأنه ممتنع . والباسل : الشجاع لامتناعه من قرنه. وفي المختار : « وأبسله: أسلمه للهلكة ، فهو مبسل ، وقوله تعالى : « أن تبسل نفس بما كسبت » قال أبو عبيدة : أي أن تسلم ، والمستبسل هو الذي يوطّن نفسه على الموت أو الضرب . وقد استبسل أي استقتل ، وهو أن يطرح نفسه في الحرب ، ويريد أن يَقتل أو يُقتل لا محالة » .

الاعراب :

(وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) يجوز في الواو أن تكون عاطفة لتتمة الحديث ، وأن تكون مستأنفة مسوقة للغرض

نفسه . وما نافية ، وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقـدم ، وجملة يتقون صلة الموصول ، ومن حسابهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال . ومن حرف جر زائد ، وشيء مجرور لفظاً بمن مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) الواو عاطفة ، ولكنْ مخففة مهملة . وذكرى يجوز أن تكون نصباً على المصدرية بفعل مضمر ، أي : ولكن يذكرونهم ذكرى ، وأن تكون رفعاً على أنها خبر لمبتدأ محذوف . أي : هي ذكرى ، أو أنها مبتدأ والخبر محذوف ، أي : ولكن عليهم ذكرى ، ولعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية (وذر الـذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) الواو عاطفة ، وذر فعل أمر ، أمات العرب ماضيه ، وسيأتي بحثه في هـذا الكتاب . وفاعله مستتر تقـديره أنت ، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة اتخذوا صلة الموصول ، ودينهم مفعول به أول لاتخذوا ، ولعباً مفعول به ثان ، ولهواً عطف عليه . ويجوز أن تكون اتخـذوا بمعنى اكتسبوا ، فتتعدى لمفعول واحد ، وتكون لعباً ولهواً نصباً على المفعول لأجله (وغرتهم الحياة الدنيا) الجملة معطوفة ، وهي فعل ومفعول به وفاعل وصفة (وذكّر به أن تُبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله وليٌّ ولا شفيع) وذكّر فعل أمر وبه جار ومجرور متعلقان بذكّر وأنْ وما بعدها في تأويل مصدر مفعول لأجله ، أي : مخافة أن تسلم إلى العذاب والهلكة ، والباء حرف جر ، وما مصدرية ، والمصدر المؤول في محل جر بالباء ، والجار والمجـرور متعلقان بتبسل . وجملة ليس وما في حيزها صفة لنفس أو مستأنفة ، ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وولي اسم ليس ، وشفيع عطف على ولي (وإن تعدل كلَّ عدل لا يؤخذ منها) الواو

عاطفة ، وإن شرطية ، وتعدل فعل الشرط ، وكل عدل نصب على المصدرية ، ولا نافية ، ويؤخذ فعل مضارع مبني للمجهول ، ومنها جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل يؤخذ ، ولا يجوز أن يكون نائب الفاعل ضمير العدل لأنه هنا باق على مصدريته ، لأن الفعل تعدّى اليه بغير واسطة ، ولو كان المراد المعدى به لكان مفعولاً به ، فلم يتعدّ إليه الفعل إلا بالباء ، وكان وجه الكلام : وإن تعدل بكل عدل ، فلما عدل عنه علم أنه مصدر ، وهذا من الدقائق التي تندّ عن الأذهان (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبح ما ارتكبوه • وأولئك مبتدأ ، والذين خبره ، وجملة أبسلوا صلة الموصول ، وبما كسبوا جار ومجرور متعلقان بأبسلوا ، وما مصدرية ، أي : بسبب كسبهم ، ويجوز أن يكون اسم الموصول بدلا من اسم الإشارة ، فيكون قوله : (لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) هو الخبر والاشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وشراب مبتدأ مؤخر ، وعلى الإعراب الأول تكون الجملة خبراً ثانياً أو حالاً أو استئنافية ، ومن حميم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشراب ، وعذاب عطف على شراب ، وأليم نعت • وقوله : « بما كانوا يكفرون » الجار والمجرور متعلقان بمحذوف ، تقديره : أعدلهم ، فيكون بمثابة التفسير لأبسلوا ، وما مصدرية ، وجملة كانوا لا محل لها ، وجملة يكفرون في محل نصب خبر كانوا •

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا

بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾

اللغة :

(استهوته) : أصله من الهويّ ، وهو النزول من علوّ إلى سفل ، فكأن الشياطين حين استهوته في الأرض طلبت هويّه فيها .

(حيران) تائهاً ضالاً عن جادة الطريق ، وهو صفة مشبهة ، ومؤنثه حيرى ولذلك لم ينصرف ، وفعله حار يحار حيرة وحيراناً وحيرورة ، وتخطىء العامة فتقول : احتار .

الاعراب :

(قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرّنا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال الذي يدعو إلى عبادة الأصنام ، كما سيأتي في باب البلاغة . والهمزة للاستفهام الإنكاري ، وندعو فعل مضارع . والجملة مقول القول ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بندعو ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول ندعو ، وجملة لا ينفعنا صلة الموصول ، وكذلك جملة ولا يضرنا المعطوفة عليها (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) الواو عاطفة ، ونرد فعل مضارع معطوف على ندعو ، داخل في حكم الإنكار والنفي ، ونائب الفاعل مستتر تقديره نحن ، وعلى

أعقابنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه ، وبعد ظرف متعلق بـ « نردُّ » ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن في محل جر بالإضافة ، وجملة هدانا الله في محل جر بالإضافة لـ « إذ » ، وهدانا الله فعل ومفعول به وفاعل (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) يجوز في هذه الكاف أن تكون نعتاً لمصدر محذوف ، أي : نردّ ردّاً مثل ردّ الذي استهوته الشياطين، ويجوز أن تكون حالاً من نائب فاعل نرد ، أي : نرد مشبهين الذي استهوته الشياطين ، وجملة استهوته الشياطين صلة الموصول ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان باستهوته ، وحيران حال من مفعول استهوته (له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا) له جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وأصحاب مبتدأ مؤخر ، والجملة في محل نصب حال من ضمير حيران ، ويجوز أن تكون مستأنفة ، وجملة يدعونه صفة لأصحاب ، وإلى الهدى جار ومجرور متعلقان بيدعونه ، وائتنا فعل أمر ونا مفعوله، والجملة في محل نصب مقول قول محذوف، أي : يقولون : ائتنا ، وجملة القول في محل نصب حال (قل : إنّ هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين) الجملة مسأنفة ، وإن واسمها ، وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ، والهدى خبره ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول ، وأمرنا الواو حرف عطف ، وأمرنا فعل ماض مبني للمجهول ، ونا ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل ، والجملة عطف على جملة : إن هدى الله هو الهدى ، منتظمة في حيز القول ، ولنسلم الواو حرف عطف ، وفي هذه اللام أقوال كثيرة لا طائل تحتها ، ضربنا عنها صفحاً ، وأقرب ما يبدو فيها أنها على بابها من التعليل ، فهي تعليل للأمر ، والمعنى قيل لنا : أسلموا لأجل أن نسلم ، والغرض من

دخولها إفادة الاستقبال على وجه أوثق ، إذ لا يتعلق الأمر والإرادة إلا بمستقبل ، ونسلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، ولرب العالمين جار ومجرور متعلقان بنسلم .

البلاغة :

التشبيه التمثيلي المنفي في قوله : « كالذي استهوته الشياطين في الأرض » ، والمشبه هو أنه لا ينبغي لنا ولا يمكن أن نعبد غير الله بعد أن هدانا ، لأنا لو فعلنا ذلك لكنا مثل من حيرته الشياطين ، فهو تشبيه جملة بجملة ، واستفيد النفي من الإنكار في قوله : « أندعو » .

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣) ﴾

اللغة :

(الصّور) : القرن ينفخ فيه ، وهو المعروف اليوم بالبوق .

الاعراب :

(وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون) الواو

حرف عطف . وأن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي : وأمرنا بأن أقيموا الصلاة ، وقد اختلف في هذا العطف ، فقيل : إنه في محل نصب بالقول نسقاً على قوله : إن هدى الله هو الهدى ، أي : قل هذين الشيئين ، وقال سيبويه : إنه نسق على : لنسلم ، والتقدير : أمرنا بكذا للإسلام ولنقيم الصلاة ، و « أن » توصل بالأمر كقولهم : كتبت إليه بأن قم ، وقد اختار الزمخشري هذا الوجه قال : « فإن قلت علام عطف قوله : وأن أقيموا ؟ قلت : على موضع « لنسلم » ، كأنه قيل : أمرنا أن نسلم وأن أقيموا » . وأقيموا فعل أمر ، والصلاة مفعول به ، واتقوه عطف على أقيموا ، وهو الواو استئنافية ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة تحشرون صلة ، وإليه جار ومجرور متعلقان بتحشرون (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) الواو استئنافية ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة خلق السموات والأرض صلة الموصول ، وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : محقاً جاداً لا هازئاً ولا عابثاً (ويوم يقول كن فيكون) الواو استئنافية ، والظرف متعلق بـ « اذكر » مقدرة ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سرعة التكوين ، وجملة يقول في محل جر بالإضافة ، وكن فعل أمر تام لا ناقص ، فيكتفي بمرفوعه ، وفاعل كن ضمير جميع ما يخلقه الله تعالى يوم القيامة ، والفاء عاطفة ، ويكون فعل مضارع تام معطوف على كن (قوله الحق) اختلفوا كثيراً في إعراب هذا الكلام ، والذي أختاره أن يكون مبتدأ وخبراً ، والجملة مستأنفة . ولا طائل تحت الأوجه التي أوردها ، أخبر سبحانه عن قوله بأنه لا يكون إلا حقاً (وله الملك يوم ينفخ في الصور) الواو عاطفة ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والملك مبتدأ مؤخر ، ويوم ظرف زمان متعلق بمحذوف بدل من الظرف الأول في قوله :

« يوم يقول » ، وجملة ينفخ في محل جر بالإضافة ، وفي الصور جار ومجرور في محل رفع نائب فاعل ينفخ (عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير) عالم خبر مبتدأ محذوف ، والواو حرف عطف ، والحكيم الخبير خبراه . والجملة استئنافية .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

اللغة :

(آزر) : اختلف المفسرون وعلماء اللغة في لفظة آزر بما لا طائل تحته ، وأقرب ما يقال فيه أنه علم أعجمي ، ولذلك منع من الصرف .

(ملكوت) : يعني ملكه ، وزيدت فيه التاء كما زيدت في الجبروت .

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) الواو حرف عطف ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكر مضمرة ، عطفاً على : قل أندعو ، أي : واذكر لقريش ، بعد أن أنكرت عليهم عبادة مالا ينفع ولا يضر ، وقت قول إبراهيم الذي يدعون أنهم على ملته . وجملة قال إبراهيم في محل

جر بالإضافة ، ولأبيه جار ومجرور متعلقان بقال ، وآزر بدل من أبيه (أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين) الهمزة للاستفهام الإنكاري ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وأصناماً مفعول تتخذ الأول ، وآلهة مفعول به ثان ، وإن واسمها ، وجملة أراك خبرها ، والجملة تعليل للإنكار ، وقومك عطف على الكاف ، أو مفعول معه ، وفي ضلال : إما مفعول به ثان إذا كانت الرؤية قلبية ، وإما بمحذوف حال إذا كانت الرؤية بصرية ، ومبين صفة (وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض) الواو اعتراضية ، والكاف مع مجرورها في محل نصب نعت لمفعول مطلق محذوف تقديره : ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض • وقد اعترض أبو حيان على هذا التقدير فقال : « وهذا بعيد من دلالة اللفظ » • وتعقبه بعضهم فقال : وإنما كان بعيداً لأن المحذوف من غير الملفوظ به ، ولو قدره بقوله : وكما أريناك يا محمد الهداية ، لكان قريباً لدلالة اللفظ والمعنى عليه معاً ، وقدره أبو البقاء بوجهين ، أحدهما : قال : « هو نصب على إضمار « أريناه » وتقديره : وكما رأى أباه وقومه في ضلال مبين أريناه ، ذلك ويجوز أن يكون منصوباً بـ « نري » التي بعده ، على أنه صفة لمصدر محذوف ، تقديره: نريه ملكوت السموات والأرض رؤية كرؤية ضلال أبيه • ويجوز أن تكون الكاف في محل رفع على خبر ابتداء مضمر ، أي : والأمر كذلك، وابراهيم مفعول به أول ، وملكوت السموات والأرض هو المفعول الثاني ، والجملة كلها لا محل لها لأنها معترضة بين قوله : « وإذ قال » وبين الاستدلال على ذلك بقوله : « فلما جن عليه الليل » • (وليكون من الموقنين) الواو عاطفة ، والمعطوف محذوف ، أي : وفعلنا ذلك ليكون ، فاللام للتعليل ، ويكون فعل مضارع منصوب بأن مضمرة

بعد لام التعليل ، والجار والمجرور متعلقان بالمعطوف المحذوف ، واسم يكون مستتر تقديره هو ، ومن الموقنين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون .

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

اللغة :

(جنّ) تقدم اشتقاق هذه المادة عند ذكر الجنة ، وهنا ما يختص بالفعل المسند إلى الليل ، يقال : جنّ عليه الليل وأجنّ عليه : بمعنى أظلم ، فيستعمل لازماً ، وجنّه وأجنّه ، فيستعمل متعدياً . فهذا ما اتفق عليه الثلاثي والرباعي ، غير أن الأجود في الاستعمال : جنّ عليه الليل ، وأجنّه الليل ، فيكون الثلاثي لازماً والرباعي متعدياً .

(أفل) : الشيء وأفولاً من بابي ضرب وقعد : غاب .

(بازغاً) : البزوغ : الطلوع ، يقال : بزغ بفتح الزاي ، يبزغ بضمها ، يستعمل لازماً ومتعدياً . وللباء مع الزاي ، فاء وعيناً للفعل ،

خاصة" متشابهة ، تلك هي معنى الطلوع والبروز . يقال : بزّه ثوبه وابتزّه : سلبه على مرأى منه ، وابتزت من ثيابها تجردت فظهرت بعريها ، ومنه قول امرىء القيس :

إذا ما الضجيع ابتزّها من ثيابها
تميل عليه هونةً غير متفال

وبزل الشرابَ من المبزَل : أساله منه ، قال زهير بن أبي سُلمى:

سعى ساعيا غيظ بن مرّة بعدما
تَبزّل ما بين العشيرة بالدم

والبازي طائر معروف ، ويقال : فلان يتحيّن كالحازي ، ثم ينقضّ كالبازيّ . وهذا من العجب بمكان .

الاعراب :

(فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال : هذا ربي) الفاء حرف عطف ، والجملة معطوفة على جملة قال إبراهيم لأبيه ، فيكون قوله : « وكذلك نري إبراهيم » معترضاً كما تقدم ، ولما حينية أو رابطة ، وجن فعل ماض ، وعليه جار ومجرور متعلقان بجن ، والليل فاعل ، وجملة جن في محل جر بالإضافة ، أو لا محل لها على الثاني ، وجملة رأى كوكباً لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وجملة : قال هذا ربي مستأنفة ، وجملة هذا ربي في محل نصب مقول القول (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) فلما الفاء عاطفة ، ولما حينية أو رابطة ، وجملة

أفل في محل جر بالإضافة ، أو لا محلَّ لها ، وجملة قال جواب شرط غير جازم ، وجملة لا أحب الآفلين في محل نصب مقول القول ، وإنما قال ذلك لأن الربّ لا يجوز عليه التغير والانتقال (فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي) الفاء عاطفة ، وبازغاً حال ، لأن الرؤية بصرية ، وهذا مبتدأ ، وربي خبره ، والجملة في محل نصب مقول القول وجملة قال هذا ربي لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين) اللام موطئة للقسم ؛ وإن شرطية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويهدني فعل مضارع مجزوم بلم ، والنون للوقاية ، والياء مفعول به ، وربي فاعل ، واللام جواب القسم ، وجملة أكوننّ جواب القسم لا محل لها ، ومن القوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أكونن ، والضالين نعت (فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربي هذا أكبر)تقدم إعرابها ، وجعل المبتدأ نظير الخبر وإن كانت الاشارة الى الشمس لكونهما عبارة عن شيء واحد ، ولصيانة الربّ عن شبهة التأنيث ، ألا تراهم قالوا في صفته : علام ، ولم يقولوا : علامة ، وإن كان علاّمة أبلغ احترازاً من علامة التأنيث ، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب الفوائد (فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون) مما جار ومجرور متعلقان ببريء.وما مصدرية أي بريء من اشراككم ، ويجوز أن تكون موصولة ، أي من الذي تشركونه مع الله في عبادته ، فحذف العائد . ويلاحظ أن إبراهيم عليه السلام احتجّ على قومه بالأفول دون البزوغ ، مع أن كليهما يفيد الانتقال من حال إلى حال ، لسرّ دقيق وهو أن الأفول انتقال مع الخفاء والانطماس ، والبزوغ انتقال مع الظهور والسطوع والائتلاق.

البلاغة :

في الآية فن التعريض ، وقد تقدم بحثه ، وإنما عرض بضلالهم • ويلاحظ أنه عرض بضلالهم في أمر القمر لأنه أيس منهم في أمر الكوكب ، ولهذا أعلن في أمر الشمس البراءة منها عن طريق استدراج الخصم وايقاعه تحت الحجة •

الفوائد :

قيل : الشمس تذكر وتؤنث ، فأنثت أولاً على المشهور ، وذكرت في الاشارة على اللغة القليلة ، مراعاة ومناسبة للخبر ، فرجحت كفة التذكير ــ التي هي أقل ــ على لغة التأنيث •

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) ﴾

الاعراب :

(إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) كلام مستأنف مسوق لإعلان إبراهيم عليه السلام

تمسكه بالهدى ودين الحق . وإن واسمها ، وجملة وجهت خبرها ، ووجهي مفعول به ، وللذي جار ومجرور متعلقان بوجهت ، وجملة فطـــر السموات والأرض صلة الموصول ، والسموات مفعول به ، والأرض عطف على السموات ، وحنيفاً حال من التاء في وجهت ، والواو حرف عطف ، وما نافية حجازية ، تعمل عمل ليس ، وأنا اسمهـا ، ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (وحاجّه قومه قـال : أتحاجّوني في الله وقد هدان) كـلام مستأنف مسوق لذكر المحاجّة بين إبراهيم عليه السلام وقومه . روي أنه لما كثر استهزاؤه بالأصنام والتنديد بها جادله قومه ، وأرادوا أن يقيموا عليه الحجة . وحاجّه فعل ماض ، والهاء مفعول به ، وقومه فاعل ، وقال فعل ماض ، وفاعله مستتر تقـديره هو ، والجملة مستأنفة ، والهمـزة للاستفهام الإنكاري ، وتحاجوني بالنون المشددة على إدغام نون الرفع في نون الوقاية، والأصل أتحاجونني ! وفي الله جار ومجرور متعلقان بتحاجوني، والواو حالية ، وقد حرف تحقيق ، وهدان فعل ماض ، والنون للوقاية، والياء المحذوفة رسماً مفعول به ويجوز حذفها وإثباتها في الوصل ، والجملة في محل نصب عـلى الحال من اليـاء في أتحاجّوني ، أي : أتجادلونني في الله حال كوني مهدياً من لدنه ؟ ويجوز أن تكون حالاً من الله ، أي : أتجادلونني فيه حال كونه هادياً لي ؟ فحجتكم متهافتة من أساسها (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً) الواو يجوز أن تكون استئنافية ، والجملة مستأنفة ، أخبرهم عليه السلام أنه لا يخاف ما يشركونه بالله ثقـة به وارتكاناً عـلى دعمه وكلاءته ، ويحتمل أن تكون عاطفة ، فهي تابعة لجملة : « وقد هدان » ، أي : في النصب على الحال ، وما اسم موصول مفعول به ، والضمير في « به » يعود على « ما » ، والمعنى : ولا أخاف الذي تشركون الله به . وإلا

أداة استثناء ، والمصدر المؤول من أن والفعل مستثنى متصل ، لأنه من جنس الأول ، والمستثنى منه الزمان ، وقد قدره الزمخشري بقوله : إلا وقت مشيئة ربي شيئاً يخاف ، فحذف الوقت . ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً ، فتكون « إلا » بمعنى « لكن » ، فإن المشيئة ليست مما يشركونه به . والمصدر المؤوّل مبتدأ خبره محذوف ، تقديره : لكن مشيئة ربي أخافها وشيئاً مفعول به (وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون) الجملة تعليل للاستثناء لا محل لها ، ووسع ربي فعل وفاعل . وكل شيء مفعول به ، وعلمـاً تمييز محوّل عن الفاعـل ، والتقدير : وسع علم ربي كل شيء ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والفاء عاطفة ، ولا نافية ، وتتذكرون معطوف على محذوف ، أي : أتعرضون عن التأمل في أن آلهتكم جمادات لا تضرّ ولا تنفـع فلا تتذكرون أنها بهذه المثابة ؟

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم

ينزل به عليكم سلطاناً) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لنفي الخوف عن النبي صلى الله عليه وسلم . وكيف اسم استفهام في محل نصب حال ، وأخاف فعل مضارع ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة أشركتم صلة ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، والمصدر المؤول مفعول أخاف ، ولا تخافون عطف على أخاف ، فتكون داخلة في حيز الإنكار ، ويجوز أن تكون الواو للحال ، فتكون الجملة في محل نصب على الحال ، أي : وكيف أخاف الذي تشركون به غيره ، وإشراككم حال كونكم أنتم غير خائفين . وأن واسمها ، وجملة أشركتم بالله خبرها ، وما اسم موصول مفعول به لأشركتم ، وبه جار ومجرور متعلقان بينزل ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ـ لأنه كان في الأصل صفة لقوله : سلطاناً ، فلما تقدم أعرب حالاً ، وسلطاناً مفعول به (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) الفاء الفصيحة ، وأي أداة استفهام مبتدأ ، وأحق خبرها ، وإن شرطية ، وكان فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ، وجملة تعلمون خبرها ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : فأخبروني أي الفريقين أحق بالاتباع ؟ (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الذين خبر لمبتدأ محذوف ، بناء على أن الكلام مسوق من إبراهيم جواباً عن السؤال في قوله : فأي الفريقين ؟ ويجوز أن تكون مبتدأ بناء على أن الكلام من الله تعالى ، وجملة آمنوا صلة ، ولم الواو عاطفة ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويلبسوا فعل مضارع مجزوم بلم ، معطوف على الصلة ، وبظلم جار ومجرور متعلقان بيلبسوا (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) أولئك مبتدأ ، ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والأمن مبتدأ مؤخر ثان ، والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، وجملة الاشارة وما في حيزها في محل نصب مقول قول

محذوف على الوجه الأول ، أو مرفوعة على أنها خبر الذين على الوجه الثاني ، والواو حرف عطف ، وهم مبتدأ ، ومهتدون خبره ، والجملة عطف على ما تقدم .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾

الاعراب :

(وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه) كلام مستأنف مسوق للاشارة الى الدلائل المتقدمة ، والأنبياء التي أنزلت على أيديهم ، وتلك : اسم إشارة مبتدأ ، وحجتنا خبره ، وجملة آتيناها خبر ثان أو حال ،

والعامل فيها معنى الاشارة ، وآتيناها فعل وفاعل ومفعول به ، وإبراهيم مفعول به ثان ، وعلى قومه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أو بحجتنا (نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) الجملة مستأنفة لا محل لها ، وأعربها أبو البقاء حالاً من فاعل آتيناها ، أي : في حال كوننا رافعين ،ودرجات مفعول فيه ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة نشاء صلة الموصول ، والمعنى نرفع من نشاء في درجات ، أي : مراتب • وإن واسمها وخبراها ، والجملة تعليلية لا محل لها (ووهبنا له إسحق ويعقوب كلاً هدينا) الواو عاطفة على قوله : وتلك حجتنا ، ولا مشاحة في جواز عطف كل من الفعلية والاسمية على الأخرى ، ووهبنا فعل وفاعل ، وإسحق مفعول به ، ويعقوب عطف على إسحق ، وكلاً مفعول به مقدم لهدينا ، وهدينا فعل وفاعل ، والجملة عطف على وهبنا (ونوحاً هدينا من قبل) ونوحاً مفعول مقدم لهدينا ، والجملة معطوفة على ما تقدم ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بهدينا ، وبني قبل على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى ، أي : قبل ابراهيم (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين) الواو حرف عطف ، ومن ذريته جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : وهدينا داود وسليمان إلى آخر من ذكرهم من الأنبياء حال كونهم من ذريته ، فجملة الأربعة عشر نبياً بعد نوح منصوبة بفعل الهداية الذي نصب « نوحاً » ، والواو استئنافية ، وكذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق ، ونجزي فعل مضارع ، والمحسنين مفعول به (وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌّ من الصالحين) الواو عاطفة ، وكل مبتدأ ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ، والتنوين في كل عوض عن كلمة ، أي : كل واحد ، ومن الصالحين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (وإسماعيل واليسع

ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين) كلاً مفعول به مقدم لفضلنا ، وعلى العالمين جار ومجرور متعلقان بفضلنا (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم) أي : وهدينا كلاً من آبائهم ، واجتبيناهم فعل وفاعل ومفعول به . والجملة عطف على ما تقدم (وهديناهم إلى صراط مستقيم) الواو عاطفة ، وكرر الهداية لتكرير التأكيد وتمهيداً لبيان ما هدوا إليه ، وإلى صراط جار ومجرور متعلقان بهديناهم . ومستقيم صفة .

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

الاعراب :

(ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) كلام مستأنف مسوق لبيان ما أشير إليه ، وهو إما الاجتباء وإما الهداية . وذلك اسم إشارة مبتدأ ، وهدى الله خبر ، وجملة يهدي حالية أو خبر ثان ،

ويجوز إعراب هدى الله بدلاً من اسم الاشارة وجملة يهدي خبر ، وبه جار ومجرور متعلقان بيهدي ، ومن اسم موصول مفعول به ، وجملة يشاء صلة الموصول ، ومن عباده جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من اسم الموصول (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) الواو حالية ، ولو شرطية ، وأشركوا فعل وفاعل ، وهو فعل الشّرط ، واللام واقعة في جواب الشرط ، وجملة حبط لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وعنهم جار ومجرور متعلقان بحبط ، وما اسم موصول فاعــل ، وجملة كانوا صلــة الموصول ، وجملة يعملون خبر كانوا (أولئك الّذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوّة) الجملة مستأنفة ، واولئك اسم إشارة مبتدأ والإشارة الى الأنبياء الثمانية عشر المذكورين والذين خبر اسم الإشارة ، وجملة آتيناهم صلة الموصول ، والكتاب مفعول به ثان ، وما بعده عطف عليه (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين) الفاء إستئنافية ، وإن شرطية ، ويكفر فعل الشرط ، وبها جار ومجرور متعلقان بيكفر ، وهؤلاء فاعــل ، والإشارة الى أهل مكة الذين أرسل محمد عليه الصــلاة والسلام لهدايتهم ، فقد الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق ، ووكلنا فعل وفاعل ، وبها جار ومجرور متعلقان بوكلنا ، وقوماً مفعول به ، وجملة ليسوا صفة ، وبها جار ومجرور متعلقان بكافرين ، والباء حرف جر زائد ، وكافرين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليسوا (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) الجملة مستأنفة ، وأولئك مبتدأ : أي الأنبياء المذكورون ، والذين اسم موصول في محل رفع خبر ، وجملة هدى الله صلة ، فبهداهم الفاء الفصيحة ، أي إذا شئت سلوك الطريق القويم والارتفاع الى أسمى المسئوليّات فاقتد بهداهم ، وقد جمــع الله له خصائص الأنبياء الكبرى التي كانت متوزعة عليهم ، اقتد فعل

أمر مبني على حذف حرف العلة ، والهاء للسكت . وقد تقدّم بحثها والجملة الواقعة بعد الفاء الفصيحة جواب شرط لا محل لها (قل : لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين) جملة قل مستأنفه ، وجملة لا أسألكم في محل نصب مقول القول ، وعليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، والضمير في « عليه » يعود على التبليغ المفهوم من سياق الكلام ، وأجراً مفعول به ثان لأسألكم ، وإن نافية ، وهو مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وذكرى خبر ، وللعالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة . وجملة إن هو إلا ذكرى استئنافية .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

الاعراب :

(وما قدروا الله حق قدره) كلام مستأنف مسوق للرّد على اليهود الذين قالوا ما يأتي مما ينسجم مع طبعهم الأصيل في التّعنّت والملاحاة . وما نافية ، وقدروا الله فعل وفاعل ومفعوله ، وحق قدره مفعول مطلق ، والأصل : قدره الحقّ ، ثم أضيفت الصّفة الى الموصوف ، يقال : قدر الشيء إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ومداه ؛

ثم استعمل في صفة الشيء (إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بقدروا ، وجملة قالوا : في محل جر بالإضافة ، والقائلون هم اليهود ، فلم تكن ثمة مندوحة عن إلزامهم مالا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى ، وأدرج تحت إلزامهم تبويخهم والانحناء عليهم باللائمة ، ووصمهم بالغباء المفرط والجهالة الرعناء ، وجملة ما أنزل الله في محل نصب مقول القول ، ومن حرف جر زائد ، وشيء مجرور لفظاً مفعول به منصوب محلاً ، (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) الجملة مستأنفة مسوقة للرد عليهم واسقاطهم في حضيض المذلة . ومن اسم استفهام مبتدأ ، وجملة أنزل الكتاب خبر ، والذي اسم موصول صفة للكتاب ، وجملة جاء به موسى صلة ، ونوراً منصوب على الحال ، وهدى عطف على : نوراً وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لهدى (تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) الجملة حالية من الكتاب ، أو من الضمير في به ، وتجعلونه فعل وفاعل ومفعول به أول ، وقراطيس مفعول به ثان ، نزلوه منزلة القراطيس ، وقد تقدم القول في القرطاس ، وجملة تبدونها في محل نصب صفة لـ « قراطيس » ، وجملة وتخفون كثيراً عطف على جملة تبدونها ، وكثيراً مفعول به لـ « تخفون » (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الواو عاطفة ، وجملة علمتم عطف على جملة تجعلونه في نطاق الحال ، وعلمتم فعل ماض مبني للمجهول ، والتاء نائب فاعل ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ثاني . وجملة لم تعلموا صلة الموصول ، وأنتم تأكيد للفاعل وهو الواو في : « لم تعلموا » ولا الواو حرف عطف ، وآباؤكم عطف على قوله « أنتم » . (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) الجملة مستأنفة مسوقة لمتابعة الرد عليهم ، والله مبتدأ حذف خبره ،

أو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير : الله أنزله ، أو وهو الله ، ثم حرف عطف . وذرهم فعل أمر أمات العرب ماضيه ، وفي خوضهم جار ومجرور متعلقان بذرهم ، أو بيلعبون أو بمحذوف حال ، وجملة يلعبون في محل نصب على الحال من مفعول ذرهم .

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

اللغــة :

(أم القرى) سميت مكة أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس . ولأنها قبلة أهل القرى ومحجهم ، ولأنها أعظم القرى شأناً . وأنشد الزمخشري لبعض المجاورين ، ولعله يريد نفسه ، فهو من نظمه:

فمن يلق في بعض القريّات رحله

فأمّ القرى ملقى رحالي ومنتابي

الاعراب :

(وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدّق الذي بين يديه) الواو استئنافية ، وهذا اسم اشارة مبتدأ ، وكتاب خبره ، وجملة أنزلناه في محل رفع صفة أولى لـ « كتاب » ؛ ومبارك صفة ثانية ، ومصدق صفة

ثالثة ، والذي اسم موصول في محل جر بالإضافة ، والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، ويديه مضاف إليه (ولتنذر أم القرى ومن حولها) الواو عاطفة واللام للتعليل ، وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بأنزلناه ، أي : أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدّمه من الكتب وأم القرى مفعول به ومن عطف على أم القرى ، وحولها ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) الواو استئنافية ، والذين اسم موصول مبتدأ ، وجملة يؤمنون بالآخرة صلة الموصول ، وجملة يؤمنون به خبر ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، والذين اسم موصول معطوف على أم القرى ، أي : لتنذر أهل أم القرى ولتنذر الذين آمنوا ، فتكون جملة يؤمنون الثانية حالاً من الموصول ، والواو حالية ، وهم مبتدأ ، وجملة يحافظون خبر ، والجملة نصب على الحال .

البلاغـة :

جاء بالصفة الأولى فعلية ، وهي جملة أنزلناه ، لأن الإنزال يتجدد وقتاً بعد وقت ، على حد قوله :

وقال رائدهم : أرسو نزاولها فحتف كل امرىء يجري بمقدار

ووقعت الصفة الثانية اسماً ، وكذلك الثالثة ، للدّلالة على الثبوت والاستمرار وديمومة البركة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ

فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)

اللغة :

(غمرات الموت) : شدائده وسكراته ، والغمرات : جمع غمرة ، وهي الشدة الفظيعة ، من غمره الماء إذا ستره ، وفي المختار : « وقد غمره الماء أي علاه وبابه نصر ، والغمرة : الشدة ، والجمع غمر ، كنوبة ونوب . وغمرات الموت شدائده » . ومن غريب أمر اشتقاق هذه الأحرف الثلاثة ـ وهي الغين والميم والراء ـ أنك تعقد على تراكيبها معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرّف منها ، فلهذه الأحرف ستة تراكيب وهي : غمر وغرم ومرغ ومغر ورغم ورمغ ، ويجمعها معنى واحد وهو التغطية والستر والإخفاء وإزالة الأثر . وفي اجتماع الغين والميم فاء وعيناً معنى التغطية تقول : سيف مغمود ومغمد ، أي موضوع في غمده ، وتغمّده الله برحمته أي : ستره ، والغمز معروف ، تقول : ما فيه مغمز ولا غميزة أي : أمر مغطّى معاب ، وله جارية غمّازة أي : حسنة الغمز للأعضاء ، وغمسه في الماء فانغمس واغتمس أي : أخفاه فيه ، وغمس النجم غموساً غاب ، ومنه اليمين الغموس لشدتها ، وغمض الأمر : خفي ، وكلام غامض : غير واضح، وغمط النعمة : احتقرها ولم يشكرها ، وغمّ الشيء إذا غطّاه.

(الهون) : بضم الهاء : مصدرها هَواناً وهَوناً ، أي : ذلّ ، والعرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان ضمّت الهاء ، وإذا أرادت به الرفق والدّعة وخفّة المئونة فتحت الهاء ، فقالوا : هو قليل هَوْن المئونة .

الاعراب :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) الواو استئنافية ، والكلام مستأنف مسوق لذكر بعض المتنبّئين ضلالة ، ومن اسم استفهام يفيد معنى النفي ، أي : لا أحد ، في محل رفع مبتدأ ، وأظلم خبره ، وممّن جار ومجرور متعلقان بأظلم ، وجملة افترى صلة الموصول ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى ، وكذباً يجوز فيه أن يكون مفعولاً به لفعل افترى ، وأن يكون مصدراً على المعنى ، أي افتراء ، فيكون مفعولاً مطلقاً ، وأن يكون مفعولاً لأجله ، وأن يكون مصدراً في موضع الحال (أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء) أو حرف عطف، وقال عطف على افترى ، وأوحي فعل ماض مبني للمجهول ، وإليّ الجار والمجرور في موضع رفع على أنهما نائب فاعل أوْحي ، والواو حالية . وجملة لم يوح في موضع نصب على الحال من ضمير الفاعل في « قال » ، أو الياء في « إليّ » ، وشيء نائب فاعل لـ « يوح » (ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله) أو حرف عطف ، ومن اسم موصول معطوف على المجرور بـ « مَن » ، أي : ممّن افترى ، وجملة سأنزل في محل نصب مقول القول ، ومثلَ : يجوز أن تكون منصوبة على أنها مفعول به ، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة أنزل الله صلة الموصول ، ويجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف ، والتقدير

سأنزل إنزالاً مثل ما أنزل الله ، و « ما » على هذا الوجه مصدرية ، وجملة أنزل الله لا محل لها لأنها وقعت بعد موصول حرفي (ولو ترى إذِ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) الواو استئنافية، ولو شرطية ، وترى فعل مضارع شرطه لو ، وجواب لو محذوف أي : لرأيت أمراً عظيماً • وقد تقدمت نظائر لذلك • والرؤية بصرية ، ومفعولها محذوف ، أي : ولو ترى الظالمين إذ هم في غمرات الموت ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى، والظالمون مبتدأ ، وفي غمرات الموت جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « الظالمون » ، ، والجملة الاسمية في محل جر بالإضافة ، والملائكة الواو حالية ، والملائكة مبتدأ وباسطو خبر ، وأيديهم مضاف اليه وهو مفعول به في المعنى ، والجملة في محل نصب على الحال من الضمير المستكن في الخبر ، وهو في غمرات الموت (أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) جملة أخرجوا أنفسكم منصوبة بقول مضمر ، أي : يقولون لهم تعنيفاً وتقريعاً ، وهذا القول في محل نصب على الحال من الضمير المستكن في اسم الفاعل ، وهو باسطو ، وأنفسكم مفعول به ، واليوم ظرف زمان منصوب متعلق بأخرجوا أو بتجزون ، وجملة تجزون مستأنفة ، وهو فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، وعذاب الهون مفعول به ثان ، وبما الباء حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بتجزون ، أي : بسببه ، وكان واسمها ، وجملة تقولون خبر كنتم ، وغير الحق نعت لمصدر محذوف ، أي : تقولون القول غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) عطف على كنتم الأولى ، داخلة في حيز صلة الموصول ، وهو ما ، وعن آياته جار ومجرور متعلقان بتستكبرون، وجملة تستكبرون خبر كنتم •

البلاغـة :

في قوله : « غمرات الموت » استعارة تصريحية تمثيلية ، فقد استعار ما يغمر من الماء للشدة البالغة .

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

اللغـة :

(فرادى) : اختلف علماء اللغة في فرادى : هل هو جمع أم لا ! والقائلون بأنه جمع اختلفوا في مفرده ، فقال الفراء : فرادى جمع فرد وفريد وفرْدان ، وقال ابن قتيبة : هو جمع فردان كسكران وسكارى وعجلان وعجالى ، وقال قوم : هو جمع فريد كرديف وردافى ، وأسير وأسارى ، قاله الراغب . وقيل : هو اسم جمع لأن فرداً لا يجمع على فرادى ، وقول من قال : إنه جمع له ، فإنما يريد في المعنى ، ومعنى فرادى : فرداً فرداً .

الاعراب :

(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) الواو استئنافية ،

واللام جواب قسم محذوف ، وجئتمونا فعل وفاعل ومفعول به ، والواو لإشباع ضمة الميم التي هي علامة جمع الذكور وفرادى منصوب على الحال من التاء ، أي فاعل جاء ، وكما خلقناكم يصح في الكاف ومجرورها — وهو المصدر المؤوّل من ما المصدرية والفعل — أن تكون في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، أي : مجيئاً مثل مجيئكم يوم خلقناكم أول مرة ، وأن تكون في محل نصب على الحال من فاعل جئتمونا ، وأول مرة منصوب على الظرفية الزمانية ، والعامل فيه خلقناكم ، ومرة في الأصل مصدر لمرّ يمرّ مرّة ، ثم اتسع فيها فصارت زماناً (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) يجوز في الواو أن تكون استئنافية أو حالية ، والجملة إما مستأنفة لا محل لها ، أو في محل نصب على الحال من فاعل جئتمونا ، بتقدير : قد ، وتركتم فعل وفاعل ، وترك هنا يجوز أن تتعدى لواحد لأنها بمعنى التخلية لا التصيير ، أو بمعنى التصيير فتتعدى لمفعولين ، أولهما « ما » الموصولة ، والثاني الظرف ، فيتعلق بمحذوف أي : وصيّرتم بالترك الذي خوّلناكموه كائناً وراء ظهوركم ، وعلى الأول يتعلق الظرف بتركتم (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) الواو عاطفة ، وما نافية ، ونرى فعل مضارع مرفوع ، ومعكم ظرف مكان متعلق بنرى ، وشفعاءكم مفعول به ، والذين نعت ، وجملة زعمتم صلة الموصول ، وأن وما في حيزها سد مسد مفعولي زعم ، وأن واسمها ، وفيكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لشركاء وقدم عليه ، وشركاء خبر أن (لقد تقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون) اللام جواب لقسم محذوف ، وقد حرف تحقيق ، وتقطع فعل ماض وفاعله مضمر يعود على الاتصال الذي تدل عليه لفظة « شركاء » ، إذ يفهم منها الوصل ، أي :

الارتباط والتعلق ، والمعنى : لقد تقطع الاتصال بينكم ، وقرىء بالرفع، وبينكم فاعل لأنه اسم غير ظرف ، وهو من الأضداد يستعمل للوصل والفراق ، أي : لقد تقطّع وصلكم • وضل الواو عاطفة ، وضل فعل ماض ، وعنكم جار ومجرور متعلقان بضل ، وما اسم موصول فاعل ، وجملة كنتم صلة الموصول ، وجملة تزعمون خبر كنتم ، ومفعولا تزعمون محذوفان ، والتقدير : تزعمونهم شفعاء ، وحذفا للدلالة عليهما، على حدّ قول الكميت :

بأي كتاب أم بأية سنّة ترى حبهم عاراً عليّ وتحسب

أي : وتحسبه عاراً •

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

اللغة :

(فالق) اسم فاعل من فلق ، أي : شقّ الشيء ، وقيده الراغب بإبانة بعضه عن بعض ، أي : شاق الحبّ عن النبات ، فيشق الحبة فيخرج منها ورق أخضر ، ويشقّ النواة اليابسة فيخرج منها شجرة صاعدة في الهواء • والفرق بين الحب والنوى معروف ، فالأول كالحنطة والشعير ، والثاني كالخوخ والمشمش •

(تؤفكون) : تصرفون ، أي : كيف تصرفون عن الإيمان .

(الإصباح) بكسر الهمزة : مصدر سمي به الصبح ، وقرىء بفتح الهمزة على أنه جمع صبح ، قال :

أفنى رياحاً وبني رياح تناسخُ الإمساء والإصباح

وسيأتي المزيد من معناهما في باب البلاغة .

(حسباناً) : بضم الحاء مصدر حسب الحساب ، وتكسر هاؤه أيضاً ، والحساب العدّ .

(سكناً) السكن : ما يسكن إليه من أهل ومال وغير ذلك ، وهو مصدر سكنت إلى الشيء من باب طلب . قال أبو الطيب :

بم التعلّل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

الاعراب :

(إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) كلام مستأنف مسوق لذكر الدلائل على كمال قدرته تعالى ، وأنه المبدع للأشياء . ومن كان هذا شأنه فهو المستحق للعبادة . وإن واسمها وخبرها ، والحب مضاف لفالق ، والإضافة غير محضة ، على أنه بمعنى الحال أو الاستقبال ، فيكون الحب مجرور اللفظ منصوب المحل ، ويجوز أن تكون الإضافة محضة على أنه اسم فاعل بمعنى الماضي ، لأن ذلك قد كان . والنوى عطف على الحب ، وجملة يخرج الحي يجوز أن تكون مستأنفة ، فلا محل لها ، ويجوز أن تكون في

محل رفع خبر ثان لإن ، ومن الميت جار ومجرور متعلقان بيخرج ، ومخرج عطف على فالق ، أي : الله فالق ومخرج ، ويجوز أن يعطف على يخرج ، لملاءة الكلام بعضه لبعض ، ولا بد حينئذ من تأويل الفعل بالاسم ليصح عطف الاسم عليه أو بالعكس . ومن الحي جار ومجرور متعلقان بمخرج (ذلكم الله فأنى تؤفكون) الكلام مستأنف مسوق لبيان أن الله هو فاعل ذلك كله ، والفاء استئنافية ، واسم الاشارة مبتدأ ، والله خبره ، والفاء استئنافية ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال ، وتؤفكون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً) فالق الإصباح نعت لله ، والإصباح مضاف إليه ، وجعل الواو عاطفة ، جعل فعل ماض ، والليل مفعوله الأول ، وسكناً مفعوله الثاني ، وفي قراءة ينسبونها إلى الجمهرة: « جاعل » بجر « الليل » بالإضافة مناسبة لقوله : « فالق الإصباح » ، ولك أن تنصب سكناً على الحال (والشمس والقمر حسباناً) الواو عاطفة ، والشمس عطف على الليل ، وحسباناً عطف على سكناً ، ولك أن تنصب حسباناً على نزع الخافض ، والجار والمجرور في محل نصب على الحال ، أي : يجريان بحسبان ، وتدل عليه آية الرحمن كما سيأتي (ذلك تقدير العزيز العليم) الكلام مستأنف ، واسم الاشارة مبتدأ ، وتقدير خبره ، والعزيز مضاف إليه ، والعليم صفة .

البلاغـة :

انطوت هذه الآية على فنون رائعة من فنون البيان :

١ ـ فن مخالفة الظاهر :

فقـد جاءت « يخرج الحي من الميت » بالفعـل ، وكان الظاهر

ورودها بصيغة اسم الفاعل ، أسوة بأمثالها من الصفات المذكورة من قوله : « فالق الإصباح » و « مخرج الميت من الحي » ، إلا أنه عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده ؛ وهو قوله . « يخــرج الحي من الميت » إرادة لتصوير إخراج الحيّ من الميــت كالانسان والطائر من النطفة والبيضة ، واستحضاره في ذهن السامع كأنه يشهده بعيان ، وقد سبق التمثيل لهذا الفن بقوله : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضر ة » فعدل عن الماضي المطابق لقوله « أنزل » لهذا المعنى . ولا شك في أن إخراج الحي من الميت أشهر في القدرة وأدل عليها من عكسه ، والنظر أول ما يبدأ فيه كإخراج النطفة والبيضة من الحيوان .

٢ ـ فن الاِشكال :

وقد تقدمت الاشارة إليه في « آل عمــران » ، والإشكال هنا مجيء« مخرج » على خلاف ما جاء عليه أمثاله ، ولم يأت كما أتى في آل عمران : « وتخرج » ، ولا كما جــاء في « يونس » وكما جــاء في « الروم » . وعلى هذا يرد السؤال التالي : ما النكتة التي أوجبت مجيء هذا المكان على ما جاء عليه مخالفاً لأمثاله ؟ والجواب الــذي يتضح به هذا الإشكال أن يقال : إنما جاء توخياً لحسن الجوار في النظم ؛ لأنه قال : فالق الحب والنوى ، وفالق الإصباح . والآية إنما سيقت للتمدّح بالقدرة المطلقة التي هي صفة ذاتية لله تعالى ، فكان التمدّح بها مع الإتيان بصيغة اسم الفاعــل أبلغ من الإتيان بصيغة الفعل ؛ لما يدل عليه اسم الفاعل من المضيّ المطلق الدالّ على القدم ، فإن مجيء ذلك على ما جاء عليه يستفاد منه قدم القــدرة ، ويلزم من

قدمها قدم الموصوف بها . ولما علم سبحانه أن تمدّحه بمجرد فلق الحب والنوى في بطن الأرض غير تام ، لأنه لا ينتفع به حتى يخرج نباته إلى ظاهر الأرض ، ويشاهد الناس قدرة مخرجه ومخترعه ، وصار قوله : « ومخرج الميت من الحي » مكملاً ، وأتى في هذه الجملة باسم الفاعل ، وهذا من المعاجز التي تتقطّع دونها الأعناق .

٣ ـ فن الاستعارة التمثيلية :

وذلك بقوله : « فالق الإصباح » ، وخلاصتها أنه تعالى شبّه انشقاق عمود الفجر وانصداع الفجر بفلق الإصباح . وقد رمق الشعراء سماء هذه البلاغة ، فقال أبو تمام وتلاعب بهذا المعنى :

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

يقول : إن أوائل الأمور تبدو قليلة ، ثم تكثر ، فينبغي الحرص من أول الأمر قبل بلوغ غايته . وأتبعه ببيت آية في الحسن فقال :

ومثل ذلك وجد العاشقين هوى بالمزح يبدو وبالإدمان ينتهب

ومن النقاد من ينسب هذين البيتين إلى ابن الرومي ، يريد أن الوجد في أوله هوى وفي آخره نار .

٤ ـ تشبيه الليل بالسكن :

وفي تشبيه الليل بالسكن إعجاز يتجسد فيه عجز الإنسان ، فالكلمة القرآنية في تعبيرها عن المعنى المراد تمتاز عن سائر مرادفاتها

اللغوية بتطابق أتمّ من المعنى المراد ، ومهما استبدلت بها غيرها لم يسدّ مسدّها ، ولم يغن غناءها ، ولم يؤدّ الصورة التي كانت تؤدّيها . وانظر الى طبيعة الأحرف التي تتكون منها كلمة « سكناً » وتوالي الفتحات على حروفها ، كل ذلك يشعرك بذلك الهدوء الذي يبعث على الطمأنينة ، وينشر الراحة في النفس .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

اللغة :

(يفقهون) : مضارع فقه الشيء ، بكسر القاف : إذا فهمه ولو أدنى فهم ، قاله الهروي في معرض الاستدلال على أن « فقه » أنزل من « علم » . وفي حديث سلمان أنه قال وقد سألته امرأة جاءته : فقهت ؟ أي فهمت ؟ كالمتعجب من فهم المرأة عنه . وإذا قيل : لا يفقه فلان شيئاً ، كان أوغل في الذمّ في العرف من قولك : لا يعلم شيئاً ، وكأن معنى قولك : لا يفقه شيئاً ، ليست له أهلية الفهم وإن فهم ، وأما قولك : لا يعلم شيئاً ، فغايته نفي حصول العلم له ، وقد تكون له أهلية الفهم والعلم لو يعلم ، وسيأتي سرّ استعمال يفقهون هنا في باب البلاغة .

(مستقر) بفتح القاف ، لأنه اسم مكان أو مصدر ميمي بمعنى الاستقرار .

(مستودع) بفتح الدّال ، لأنه اسم مكان من استودع ، وسيأتي مزيد من معناهما في باب الاعراب .

الاعراب :

(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) الواو حرف عطف ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجعل هنا بمعنى خلق فتتعدّى لواحد ، ولكم جار ومجرور متعلّقان بجعل ، والنجوم مفعول به ، ولتهتدوا اللام للتعليل والجر ، وتهتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التّعليل ، والجار والمجرور متعلقان بجعل أيضاً ، عن طريق البدلية الاشتمالية ، بإعادة العامل ، والتقدير : جعل لكم النجوم لاهتدائكم ، وفي ظلمات البر والبحر جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : حال كونكم مدلجين في ظلمات الليل بالبر والبحر (قد فصّلنا الآيات لقوم يعلمون) الجملة مستأنفة ، مسوقة للتأكيد على وجوب إفراغ الجهد في سبيل التعليم والهداية ، والآيات مفعول به ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بفصلنا ، وجملة يعلمون صفة لقوم (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) الواو عاطفة على ما تقدم ، وهو مبتدأ ، واسم الموصول خبره ، وجملة أنشأكم صلة الموصول ، ومن نفس جار ومجرور متعلقان بأنشأكم ، وواحدة صفة ، فمستقر الفاء واقعة في جواب الموصول لما فيه من رائحة الشرط ، ومستقر قرىء بفتح القاف ، فهو مبتدأ حذف خبره ، والتقدير : فلكم مستقر ، لأنه اسم مكان أو

مصدر ميمي ، ومن قرأ بكسر القاف والدال فهما اسم فاعل ، والتقدير : فمنكم مستقر ومستودع (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) تقدم إعرابها ، وسيأتي المزيد منها في باب البلاغة .

البلاغـة :

التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بما خلق . ومعلوم أن للجهل حالين متغايرين : أولهما جهل لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها ، وثانيهما جهل خارج عن أنفس النظار اي النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية ، فاذا تمهد ذلك سهل عليك أن تعرف أن جهل الإنسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر في تطوراتها أبشع من جهله الأمور الخارجة عنه ، كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها ، فلما كان الفقه أدنى درجات العلم خصّ به أسوأ الفريقين ، وصار بالتالي تخصيص نفي أعلاها بالعلم بأسوأ الفريقين حالاً . وهذا من دقائق لغتنا العربية ، فاحرص عليه .

الفوائـد :

وللشوكاني عبارة في « المستقر والمستودع » تروى الغليل قال : « قرأ ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو عمرو وعيسى والأعرج والنخعي : بكسر القاف ، والباقون بفتحها ، وهما مرفوعان على أنهما مبتدآن ، وخبرهما محذوف ، والتقدير : فمنكم مستقر ، أو فلكم مستقر ، التقدير الأول على القراءة الأولى ، والثانية على الثانية ، أي : فمنكم مستقر على ظهر الأرض ، أو فلكم مستقر على ظهرها ، ومنكم

مستودع في الرحم أو في باطن الأرض أو في الصلب . وقيل : المستقر ما كان في الرحم ، والمستودع ما كان في الصلب . وقيل : المستقر من خلق . والمستودع من لم يخلق والاستيداع إشارة الى كونهم في القبور الى البعث » .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) ﴾

اللغـة :

(خضراً) بكسر الضّاد ، صفة مشبهة ، يقال : أخضر وخضر كأعور وعور .

(متراكباً) يركب بعضه بعضـاً كسنابل الحنطـة ونحوهـا .
(قنوان) جمع تكسير ، مفرده قنو كصنو وصنوان . وهذا الجمع يلتبس بالمثنّى في حال الوقف ، ويتميز بحركة النّون ، فنون المثنى مكسورة دائماً ، ونون هذا الجمع تتوارد عليها الحركات الثلاث بحسب الإعراب . ويتميّزان أيضاً في النسب ، فإذا نسبت الى المثنّى رددته الى المفرد فقلت : قنويّ ، وإذا نسبت الى الجمع أبقيته على حاله لأنه

جمع تكسير ، فنقول : قنوانيّ • ويتميزان أيضاً بالإضافة ، فنون المثنّى تسقط لها بخلاف نون جمع التكسير ، فتقول في المثنى : هذان قنواك ، وفي الجمع : هذه قنوانك ، ويقال مثل هذا في : صنوان ، مثنى وجمعاً ، والقنو بكسر القاف ، ويقال : بضمها : العذق ، وهو من النخل كالعنقود من العنب •

(دانية) سهلة المتجنى ، قريبة للقاطف •

(ينعه) مصدر ينع بكسر النون،فهي مكسورة في الماضي مفتوحة في المضارع ، أي : نضج واستوى • وقال أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن : إذا فتحت ياؤه هو جمع يانع ، كما التجر جمع تاجر ، والصّحب جمع صاحب ، وقد يجوز في مصدره ينوعاً ، ومسموع من العرب : وأينعت الثمرة تونع إيناعاً • ومن لغة الذين قالوا : ينع قول الشاعر يزيد بن معاوية في نصرانية ترهّبت في دير خرب عند الماطرون ، وهو موضع بالشام ، قال :

آب هذا الهمّ فاكتنفا ... وأترّ النوم فامتنعا

راعيا للنجم أرقبه ... فاذا ما كوكب طلعا

في قباب عند سكرة ... حولها الزيتون قد ينعا

الى آخر هذه القصيدة الممتعة •

الاعراب :

(وهو الذي أنزل من السّماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء) الواو عاطفة،والكلام معطوف على ماقبلها لمناسبة أول الكلام آخره وذكر ما يحتاج اليه الناس في معاشهم ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ،

وجملة أنزل من السماء صلة ، وماء مفعول به ، والفاء عاطفة ، وأخرجنا فعل وفاعل ، وبه جار ومجرور متعلّقان بأخرجنا ، ونبات كل شيء مفعول به (فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً) الفاء : حرف عطف ، وأخرجنا فعل وفاعل ، ومنه جار ومجرور متعلقان بأخرجنا ، وخضراً مفعول به وجملة نخرج صفة لـ « خضراً » وعبر بالمضارع مع أن المقام للماضي لاستحضار الصـــورة القريبة ، وقد مرت نظائره في أبواب البلاغة . ومنه جار ومجرور متعلقان بنخرج ، وحباً مفعول به ، ومتراكباً صفة . (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) الواو اعتراضية ، ومن النّخل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومن طلعها بدل من الجار والمجرور قبله بإعادة الجار ، والبدل هنا بدل بعض من كل ، لأن الطلع أول ما يبدو للعيون منها ، وقنوان مبتـــدأ مؤخر ، ودانية صفة لقنوان ، والجملة معترضة سيقت للمنّة ، لأنه من أعظم أقوات العرب ، ولأنه جامع بين اللذة والقوت (وجنّات من أعناب والزّيتون والرّمان مشتبهاً وغير متشابه) الواو عاطفة ، وجنات عطف على نبات ، فهو منصوب ، أي : فأخرجنا بالماء النّبات ، وجنات ، فهو من عطف الخاص عــلى العام ، ومن أعناب جــار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ، وكذلك الزيتون والرمان ، واختار الزمخشري أن ينصب الزيتون والرمان على الاختصاص تنويهاً بهذين الجنسين وتمييزاً لهما ، ومشتبهــاً حال ، والمراد تشابه أوراقهما ، وغير متشابه عطف عليه ، وقرأ بعضهم « وجناتٌ » بالرفع ، وضعفها أبو جعفر الطّبري ، والرفع على عطفها على قنوان ، أو على أنها مبتدأ خبره محذوف ، أي : وثمّ جنات من أعناب ، وقدره أبو البقاء ومن الكرم جنات (انظروا الى ثمره إذا أثمر وينعه) الجملة لا محل لها لأنها جــواب شرط غير جازم مقدم ، وانظروا فعل أمر والواو فاعل ، وإلى ثمره جار ومجرور

متعلقان بانظروا ، وإذا ظرف مستقل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وهو انظروا وجملة أثمر في محل جر بالاضافة ، وينعه عطف على ثمره (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الكلام مستأنف مسوق لتعليل عبادته سبحانه ، وبيان قدرته البالغة . وإن حرف مشبه بالفعل ، وفي ذلكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، واللام المزحلقة ، وآيات اسم إن ، لقوم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآيات ، وجملة يؤمنون صفة لقوم ، والإشارة تقع على جميع ما تقدم ذكره من قوله : « إن الله فالق الحب والنوى » إلى هنا .

البلاغـة :

في الآية التفات بليغ بقوله : « فأخرجنا » ، وسره العناية بشأن هذا الإخراج والتنويه بالعظمة والقدرة البالغتين .

﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

اللغـة :

(وخرقوا) : اختلقوا ، يقال : خلق الإفك وخرقه ، واختلقه وافتراه وافتعله . بمعنى كذب ، وهو من باب ضرب .

(بديع) وردت كلمة بديع في القرآن مرتين، الأولى في البقرة، في قوله: «بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون»، والثانية في هذه الآية، ومعنى بديع في الآيتين منشئهما ومبدعهما على غير مثال سابق، ولهذه المادة معان كثيرة تنتهي الى أمرين اثنين:

١ ـ الجدّة التي يدلّ عليها إنشاء الشيء ابتداء وعلى غير مثال سابق.

٢ ـ البراعة والغرابة التي يدلّ عليها العجيب، قال عمر بن أبي ربيعة:

فأتتها فأخبرتها بعذري
ثم قالت: أتيت أمراً بديعاً

الاعراب:

(وجعلوا لله شركاء الجنّ) كلام مستأنف مسوق في بيان موقفهم من خالقهم، بعد أن بين المنن المسبغة عليهم، وكيف خالفوا ما يقتضيه العقل السّليم. وجعلوا فعل وفاعل، ولله: جار ومجرور متعلقان بشركاء أو حال منه، وشركاء مفعول جعلوا الثاني، وقدمه لاستعظام أن يتخذ لله شريك، والجن هو المفعول الأول. (وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) الواو حالية، ولا بد من تقدير قد بعدها وخرقوا الواو حرف عطف، وخرقوا فعل وفاعل، وله جار ومجرور متعقان بخرقوا، وبنين مفعول به، وبنات عطف على بنين، وبغير علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل خرقوا، أي:

افتعلوا الكذب مصاحبين للجهل وهو عدم العلم ، والجملة عطف على جملة وخلقهم (سبحانه وتعالى عما يصفون) سبحانه : مفعول مطلق لفعل محذوف ، أي تنزه تنزيهاً ، وتعالى عطف على الفعل المقدر العامل في سبحانه ، وعما جار ومجرور متعلقان بتعالى ، وجملة يصفون صلة الموصول ، والجملة التنزيهية مستأنفة (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان استحالة ما ينسبونه إليه ، وتقرير تنزيهه عنه ، وبديع السموات والأرض خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو بديع ، وأنى اسم استفهام بمعنى كيف أو من أين ، في محل نصب حال ، ويكون فعل مضارع ناقص ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم ، وولد اسمها المؤخر وجملة أنى يكون له ولد استئنافية (ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم) الواو عاطفة ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ولكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلم ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكن المقدم ، وصاحبة اسمها المؤخر ، وخلق كل شيء : هذه الجملة إما مستأنفة أو حالية ، وعلى الاعراب الأخير يكون المعنى : كيف ومن أين يكون له ولد والحال أنه خلق جميع الأشياء ومن جملتها ما سموه ولداً له ، فكيف يدور بخلد أحد أن يكون المولود ولداً لخالقه ؟ وهو : الواو عاطفة أو حالية ، وهو مبتدأ ، وبكل شيء جار ومجرور متعلقان بعليم ، وعليم خبر « هو » .

﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾

الاعراب :

(ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو) الكلام مستأنف ، وهو وما بعده سرد لتقرير نعته سبحانه بهذه الأوصاف السّامية ، واسم الإشارة مبتدأ ، والله خبر أول ، وربكم خبر ثان ، وجملة لا إله إلا هو خبر ثالث ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة ، فجدّد به عهداً (خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل) خالق كل شيء خبر رابع ، فاعبدوه : الفاء تعليلية ، واعبدوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها لبيان سبب العبادة ، وهو الواو عاطفة ، وهو مبتدأ ، وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بوكيل ، ووكيل خبرهو (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو الّلطيف الخبير) الجملة خبر خامس، وتدركه الأبصار فعل ومفعول به مقدم وفاعل ، وهو يدرك : الواو عاطفة ، وهو مبتدأ ، وجملة يدرك الأبصار خبره ، وهو : الواو حرف عطف ، وهو مبتدأ ، واللطيف خبر أول ، والخبير خبر ثان .

البلاغة :

في الآية الثانية فنون عديدة من البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ ـ المناسبة :

وهي أن يبتدىء المتكلم بمعنى ، ثم يتمّم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، فإن معنى نفي إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ، لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر

المفردة ، إنما يدرك اللون من كلّ متلوّن ، والكون من كلّ متكوّن، فجاء هذا التّمثيل ليتخيّله السّامع فيقيس به الغائب على الشّاهد ، وكذلك قوله تعالى : « وهو يدرك الأبصار » فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة .

٢ ـ فن الاحتراس :

فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار اقتضت البلاغة فن الاحتراس تفادياً لأن يظنّ ظانّ أنه إذا لم يكن مدركاً لم يكن موجوداً ، فوجب أن تقول « وهو يدرك الأبصار » لتثبت لذاته الوجود .

٣ ـ فن اللفّ والنّشر :

وسماه بعضهم « فن تشابه الأطراف » ، فقوله : « اللّطيف » راجع الى قوله : « لا تدركه الأبصار » ، وقوله : « الخبير » راجع الى قوله : « وهو يدرك الأبصار » .

٤ ـ فن التعطّف :

الذي هو قوله : « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » لمجيء الأبصار في أول الكلام وآخره .

٥ ـ فن المطابقة :

بين قوله « لا تدركه الأبصار » وقوله : « وهو يدرك الأبصار ». فقد استكملت الآية خمسة فنون تامة من فنون البلاغة .

الفوائــد :

هذه الآية أقوى دلائل المعتزلة في الأدلّة السّمعيّة على أن الله تعالى لا يرى ، لأنها صريحة . والجواب : إن الآية الأخرى تناقضها وهي قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » وأما شبهتهم في قوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » فقد أجاب الأشاعرة عنها : بأن قوله : « لا تدركه الأبصار » نقيض لقوله تعالى : « يدرك الأبصار » يقتضي أن كلّ أحد لا يبصره ، لأن الألف واللام إذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ، ونقيض السالبة الكلّية الموجبة الجزئية : فكان معنى قوله : « لا تدركه الأبصار » : لا تدركه كل الأبصار . ونحن نقول بموجبه ، فإن جميع الأبصار لا تراه ، ولا يراه إلاّ المؤمنون ، وهذه النكتة هي معنى قولهم : سلب العموم لا يفيد السلب .

﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

اللغـة :

(بصائر) : جمع بصيرة ، وهي نور القلب الذي به يستبصر ، والبصر نور العين الذي به تبصر ، وتطلق على العقل والفطنة والعبرة والشاهد والحجة ، يقال : جوارحه بصيرة عليه ، وفراسة ذات بصيرة أي : صادقة . وفي القاموس : البصر محركة : حس العين ، والجمع أبصار ، مثل : سبب وأسباب .

الاعراب :

(قد جاءكم بصائر من ربكم) كلام مستأنف مسوق على لسان النبي ، والمراد بها آيات القرآن ، وقد حرف تحقيق ، وجاءكم بصائر فعل ومفعول به مقدّم وفاعل مؤخّر ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بجاءكم ، أو بمحذوف صفة لبصائر (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها) الفاء استئنافية للتفصيل ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، وأبصر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة للجواب ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : فالإبصار لنفسه ، ومثله : ومن عمي فعليها ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (وما أنا عليكم بحفيظ) الواو استئنافية ، ويجوز أن تكون حالية ، وما نافية حجازية ، وأنا ضمير منفصل في محل رفع اسمها . وعليكم جار ومجرور متعلقان بحفيظ ، والباء حرف جر زائد ، وحفيظ اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون) الواو استئنافية ، والكاف في

محل نصب نعت لمصدر محذوف ، أي : تصريفاً مثل ما صرفناها فيما يتلى عليكم ، والآيات مفعول به ، والواو حرف عطف ، واللام هي لام التعليل ، والفعل بعدها يقولوا منصوب بإضمار أن ، وسماها ابن عطية وأبو البقاء : لام العاقبة أو الصيرورة ، وجملة ليقولوا معطوفة على مقدر ، أي : ليعتبروا وليقولوا ، وجملة درست في محل نصب مقول القول ، ولنبينه : الواو عطف على اللام الأولى ، والجار والمجرور متعلقان بنصرف ، وسيأتي الفرق بين اللامين في باب البلاغة . والضمير في « لنبينه » يعود للقرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوماً ، ولقوم جار ومجرور متعلقان بنبينه ، وجملة يعلمون صفة لقوم (اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) الجملة مستأنفة لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم ، واتبع فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ، و « ما » يجوز فيها أن تكون اسم موصول في محل نصب على المفعولية لاتبع ، والعائد هو نائب فاعل أوحي ، والجملة صلة الموصول ، ويجوز أن تكون مصدرية ، فيكون الجار والمجرور هنا نائب الفاعل ، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي كائناً من ربك ، وجملة لا إله إلا هو معترضة ، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة كثيراً . وأعرض عطف على اتبع ، وعن المشركين جار ومجرور متعلقان بأعرض (ولو شاء الله ما أشركوا) الواو استئنافية أو حالية ، ولو شرطية ، وشاء ربك فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف ، والتقدير عدم إشراكهم ، وجملة ما أشركوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وما جعلناك عليهم حفيظاً) الواو عاطفة ، وما نافية ، وجعلناك فعل وفاعل ومفعول به أول ، وحفيظاً مفعول جعلنا الثاني ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بـ« حفيظاً » . (وما أنت عليهم بوكيل) عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعرابها قريباً .

البلاغـة :

قال الزمخشري : وهو من عيون النكت التي جاء بها : « فإن قلت : أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه ؟ قلت : الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة ، وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ، ولم تصرف ليقولوا ، درست ، ولكن لأنه حصل هـذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين به شبه به فسيق مساقه » .

الفوائـد :

في قوله « درست » ثلاث عشرة قراءة ، ثلاث منها متواترة ، وعشر منها شاذة ، وقد أدرجناها باختصار :

الثلاث المتواترة :

١ ـ درست بوزن ضربت ، مبنياً للفاعل ، والتاء للفاعل ، أي : درست يا محمد .

٢ ـ درست والتاء تاء التأنيث الساكنة ومعناها بليت وتكررت في الأسماع .

٣ ـ دارست : بوزن قاتلت ، أي : دارست يا محمد غيرك .

العشر الشاذّة :

١ ـ درّست: بالتشديد والخطاب ، أي : درست الكتب القديمة.

٢ ـ دُرّست : مشدّداً مبنياً للمجهول المخاطب .

٣ ــ دورست : بالتخفيف والواو مبنياً للمجهول .

٤ ــ دوّرست : مبنياً للمجهول مسنداً لضمير الآيات .

٥ ــ دارست : بتاء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل .

٦ ــ درست : بفتح الدال وضم الراء ، مسنداً إلى ضمير الآيات .

٧ ــ درس : فاعله النبيّ .

٨ ــ درسن : مسند لنون الإناث ، وهي ضمير الآيات .

٩ ــ درّسن : كالــذي قبله ، إلا أنه بالتشديــد ، بمعنى : اشتد درسها .

١٠ــ دارسات : جمــع دارسة ، بمعنى : قديمات ، أو بمعنى : ذات دروس .

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۢ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

اللغة :

(عدواً) : ظلماً واعتداء .

(جهد أيمانهم) : الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة .
(يشعركم) : يدريكم ويعلمكم .

الاعراب :

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) كلام مستأنف مسوق للنهي عن أمر هو واجب في حد ذاته ، ولكنه يؤدّي إلى سبّ الله تعالى ، فلذلك جرى النهي عنه ، ورب طاعة جرت إلى معصية . ولا ناهية ، وتسبوا فعل مضارع مجزوم بها ، والواو فاعل ، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة يدعون صلة الموصول ، ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فيسبوا الله عدواً بغير علم) الفاء هي السببية ، ويسبوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، لأنها مسبوقة بالنهي ، أي : لا تسبوا آلهتهم فقد يترتب على ذلك ما تكرهون من سب الله . ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ، ويسبوا معطوفة على تسبوا ، ولفظ الجلالة مفعول به ، وعدواً منصوب على المصدر لأنه مرادفه ، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله ، أي : لأجل الاعتداء ، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال ، لأن السب لا يكون إلا عدواً . وبغير علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مؤكدة (كذلك زينا لكل أمة عملهم) كذلك الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف ، أي : زينا لهؤلاء أعمالهم تزييناً مثل تزييننا لكل أمة عملهم ، وزينا فعل وفاعل ، ولكل أمة جار ومجرور متعلقان بزينا ، وعملهم مفعول به ، والجملة نصب على الحال (ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) ثم عاطفة للترتيب مع التراخي ، والعطف على محذوف تقديره : فأتوه ، وإلى ربهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف

خبر مقدم . ومرجعهم مبتدأ مؤخر ، فينبئهم الفاء عاطفة للترتيب مع التعقيب لتقرير أن التوبيخ والتقريع تابعان للمرجع بسرعة لا هوادة فيها . وينبئهم فعل مضارع والهاء مفعول به أول ، وبما جار ومجرور في موضع المفعول الثاني لينبئهم ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يعلمون خبر كانوا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) الواو استئنافية ، وأقسموا فعل وفاعل ، وبالله جار ومجرور متعلقان بأقسموا ، وجهد أيمانهم منصوب على المصدرية ، أي: أقسموا جهد اقساماتهم ، والأيمان بمعنى الاقسامات ، كما تقول : ضربته أشدّ الضربات ، وقيل: مصدر في موضع الحال ، أي : أقسموا مجتهدين في أيمانهم ، وقال المبرد : منصوب بفعل من لفظه ، وأيمانهم مضاف إليه ، من إضافة المصدر لمفعوله (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله) اللام موطئة للقسم ، وإن شرطية وجاءتهم فعل الشرط ومفعوله ، وآية فاعل ، وليؤمنن : اللام واقعة في جواب القسم ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، لأنه متقدم على الشرط ، ويؤمنن فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال ، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل ، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة ، وبها جار ومجرور متعلقان بيؤمنن ، قل فعل أمر ، والجملة مستأنفة ، وإنما كافة ومكفوفة ، والآيات مبتدأ ، وعند الله ظرف متعلق بمحذوف خبر المبتدأ (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة التي دعت إلى أن يكون الجواب على هذا الشكل ، وما اسم استفهام إنكاري في محل رفع مبتدأ ، وجملة يشعركم خبرها ، والكاف مفعول أول ليشعركم ، وأنّ وما في حيزها في موضع المفعول الثاني ، وإذا ظرف متعلق بيؤمنون ، وجملة لا يؤمنون خبر أنها . وسيأتي مزيد من القول في هذا التركيب المعجز .

الفوائد :

كثر اختلاف العلماء حول هذا التركيب المعجز ، وسنختار ما هو أكثر ملاءمة للمنطق والذوق ، فقد مثل بعضهم لهذا التركيب بمثال وهو : إذا قال لك قائل أكرم فلاناً فإنه يكافئك ، وأنت تعلم منه تنيها ، قلت في الجواب : وما يدريك أني إذا أكرمته يكافئني ، فتنكر عليه إثبات المكافأة ، فإن انعكس الأمر فقال لك : لا تكرمه فإنه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة ، فأنكرت على المشير بحرمانه ، قلت : وما يدريك أنه لا يكافئني ، تريد : وأنا أعلم منه المكافأة ، فكان مقتضى الإنكار على المؤمنين الذين أحسنوا الظن بالمعاندين فاعتقدوا أنهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة أن يقال : وما يدريكم أنها إذا جاءت يؤمنون ، بإسقاط « لا » ، فلما جاءت الآية على هذا الشكل ، اختلف العلماء ، فحمل بعضهم « لا » على أنها زائدة ، وبعضهم أوّل « أنّ » بـ « لعل » من قول العرب : ائت السوق أنك تشتري لحماً ، واستشهدوا بقول امرىء القيس :

عوجا على الطّلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حزام

أي : لعلنا ، وبعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف ، وقد تفتح همزة أن بعد القسم ، فقال : التقدير : والله أنها إذا جاءت لا يؤمنون . والأصح أن الآية باقية على ظاهرها ، وأن هذا كله مجرد تكلّف ، ولإيضاح ذلك يقال : إذا حرمت زيداً لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالإكرام ، بناء على أن المشير يظن المكافأة ، فلك معه حالتان : حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه ، وحالة تعذره في عدم العلم بما أحطت به علماً ، فان أنكرت عليه قلت : وما يدريك أنه

بكافىء ، وإن عذرته في عدم علمه بأنه لا يكافىء قلت : وما يدريك أنه لا يكافىء ؟ يعني ومن أين تعلم أنت ما علمته أنا من عدم مكافأته ، وأنت لم تخبر أمره خبري ، ولم تسبر غوره سبري ؟ فكذلك الآية ، إنما ورد فيها الكلام بإقامة عذر للمؤمنين في عدم علمهم بالمغيب في علم الله تعالى ، وهو عدم إيمان هؤلاء ، فاستقام دخول « لا » وتبيّن أن سبب الاضطراب التباس الإنكار بإقامة الأعذار ، وهذا من أسمى دلائل الإعجاز .

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ﴾

اللغة :

(يعمهون) : مضارع « عمه » في طغيانه عمهاً ، من باب تعب : إذا تردّد متحيراً ، وهو مأخوذ من قولهم : أرض عمهاء ، إذا لم تكن فيها أمارات النجاة ، فهو عمه وأعمه .

الاعراب :

(ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة) الواو استئنافية أو عاطفة ، ونقلب فعل مضارع ، وأفئدتهم مفعوله ، وأبصارهم عطف على أفئدتهم ، وكما الجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره : فلا يؤمنون كما كانوا عند نزول الآيات على مقترحهم الأول ،

لكونهم مطبوعاً على قلوبهم ، فهو مفعول مطلق ، وما مصدرية ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلم ، وبه جار ومجرور متعلقان بيؤمنوا وأول مرة ظرف زمان متعلق بيؤمنوا (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) الواو عاطفة ، ونذرهم عطف على لا يؤمنون ، داخل في نطاق الإنكار ، مقيّد بما تقيد به ، وفي طغيانهم جار ومجرور متعلقان بيعمهون ، وجملة يعمهون حال ، أي متحيرين .

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

اللغة :

(قُبُلاً) بضمتين جمع قبيل ، ونظيره : رغيف ورُغُف ، وقضيب وقضب ، أو جمع قبيل ، بمعنى كفيل .

الاعراب :

(ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وأن وما في حيزها فاعل لفعل محذوف ، أي : يثبت . وجملة نزلنا إليهم الملائكة خبر أن ، وكلّمهم عطف على نزلنا ، وذلك ما اقترحوه عندما قالوا : لولا أنزل علينا الملائكة والموتى فاعل (وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً) الواو عاطفة أيضاً ، وحشرنا فعل

وفاعل ، معطوف على نزلنا ، أي : كما قالوا أيضاً . وعليهم جار ومجرور متعلقان بحشرنا ، وكل شيء مفعول به ، وقبلاً حال ، أي : فوجاً فوجاً ، أو كفلاء ، كما تقدم في باب اللغة (ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وما نافية ، واللام لام الجحود ، ويؤمنوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف هو الخبر ، أي : ما كانوا أهلاً للإيمان ، وإلا أداة استثناء من أعم الأحوال ، فهو استثناء متصل ، والمعنى : ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله ، فأن وما بعدها مصدر في موضع نصب على الحال ، أو استثناء من أعم الأزمنة ، فالمصدر في موضع نصب على الظرفية الزمانية ، إلا في زمان مشيئة الله ، أو استثناء من علة عامة ، أي : ما كانوا ليؤمنوا لشيء من الأشياء إلا لمشيئة الله الإيمان ، فهو مفعول لأجله ، ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعاً ، وتكون أن ومدخولها في تأويل مبتدأ محذوف الخبر ، أي : لكن مشيئة الله تحصل ، وحجة القائلين بذلك أن مشيئة الله ليست من جنس إرادتهم (ولكن أكثرهم يجهلون) الواو حالية أو استئنافية ، ولكن واسمها ، وجملة يجهلون خبرها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِٱلْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

الاعراب :

(وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ) كلام مستأنف مسوق لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عمّا شاهده من عداء قريش له ، وما يبيتونه من مؤامرات . والكاف في محل نصب على أنها مع مدخولها نعت لمصدر محذوف مؤكد لما بعده ، وجعلنا فعل وفاعل وهو يتعدى لمفعولين ، ولكل نبي جار ومجرور في موضع نصب على الحال لأنه كان في الأصل صفة لـ « عدواً » ، وعدواً مفعول جعلنا الثاني ، وشياطين الإنس والجن مفعول جعلنا الأول (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً) يجوز أن تكون الجملة مستأنفة لبيان حال العدو ، وسمي وحياً لأنه إنما يكون خفية بينهم ، وجعل تمويههم زخرفاً من القول لتزيينهم إياه ، ويجوز أن تكون حالاً منه ،ويوحي فعل مضارع ، وبعضهم فاعل ، وإلى بعض جار ومجرور متعلقان بيوحي، وزخرف القول مفعول به ، وغروراً مفعول لأجله ، أي : ليغرّوهم ، أو مصدر في موضع نصب على الحال ، أي غارّين ، أو على المفعولية المطلقة ، لأن معنى يوحي بعضهم إلى بعض : يغرونهم بذلك غروراً (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء ربك فعل وفاعل وهو شرط لو ، ومفعوله محذوف ، وقد تقدم بحثه ، وجملة ما فعلوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، والفاء هي الفصيحة ، وذرهم فعل أمر وفاعل مستتر ، والهاء مفعول به ، والواو عاطفة ، وما اسم موصول معطوف على الهاء في

فذرهم ، أي : اتركهم واترك الذي يفترونه ، ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع ، وما مفعول معه ، ويجوز أن تكون ما مصدرية ، أي : اتركهم واترك افتراءهم . وقد نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) الواو عاطفة ، واللام للتعيل ، وتصغى فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور عطف على « غروراً » ، وإنما لم ينصب على أنه مفعول لأجله لاختلاف الفاعل ، ففاعل تصغى المغرور وفاعل الأول الغارّون ، ولأنه ليس صريح المصدرية ، ففات شرطان من شروط نصب المفعول لأجله ، ومعنى تصغى : تميل ، وإليه جار ومجرور متعلقان بتصغى ، وأفئدة فاعل تصغى ، والذين مضاف إليه ، وجملة لا يؤمنون صلة الموصول ، وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بيؤمنون (وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) عطف على « غروراً » أيضاً ، أي : فاللام للتعليل ، وهي مكسورة ، و « أن » مقدرة بعدها جوازاً في الأفعال الثلاثة ، وترتيبها حسن للغاية وفي منتهى الفصاحة ، لأنه يكون أولاً الخداع فيكون الميل فيكون الرضا فيكون الاقتراف ، فكل واحد مسبّب عما قبله ، وجنح الزمخشري إلى تسمية هذه اللامات بلام الصيرورة أو العاقبة ، وليس ببعيد .

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ

بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

اللغـة :

(حكماً) : حاكماً لا يحكم إلا بالعدل ، وهو أبلغ من حاكم ، لأن الحكم لا يحكم إلا بالعدل ، والحاكم قد يشتطّ ويجور ، أو لأن الحكم تكرر منه ، بخلاف الحاكم فإنه يصدق بمرّة واحدة ، وقد رمق أبو الطيب المتنبي سماء هذه الكلمة بقوله :

يا أعـدل الناس إلاّ في معاملتي
فيك الخصامُ وأنت الخصم والحكمُ

الاعراب :

(أفغير الله أبتغي حكماً) الجملة عطف على مقدّر يقتضيه سياق الكلام ، أي قل لهم : أأميل إلى زخارف الدنيا فأبتغي حكماً ؟ والهمزة للاستفهام الإنكاري ، فهي مقول قول محذوف ، وجملة القول مستأنفة ، وغير الله مفعول به مقدم لأبتغي ، وحكماً حال أو تمييز ، ويجوز أن يكون « حكماً » هو المفعول به ، و « غير » حال من « حكماً » لأنه في الأصل وصف له (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً) الواو للحال ، والجملة حال مؤكدة للإنكار ، وهو مبتدأ ، والذي خبر ، وجملة أنزل صلة لا محل لها ، وإليكم جار ومجرور متعلقان بأنزل ، والكتاب مفعول به ، ومفصلاً حال من الكتاب

(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة من الله تعالى لتقرير كون الكتاب حقيقة منزلة من عنده تعالى ، والذين اسم موصول مبتدأ ، وجملة آتيناهم صلة الموصول ، والكتاب مفعول به ثان ، وجملة يعلمون خبر اسم الموصول ، وأنّ واسمها وخبرها ، وقد سدت مسد مفعولي يعلمون ، ومن ربك جار ومجرور متعلقان بمنزل ،بالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المرفوع في « منزل » والذي هو نائب فاعل ، والفاء في « فلا » الفصيحة ، أي : إذا علمت هذا وتأكدت منه فلا تكونن ، ولا ناهية ، وتكونن فعل مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون الثقيلة وهو في محل جزم بلا الناهية ، واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ، ومن الممترين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والخطاب ، وإن كان في ظاهر الكلام موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه موجّه في الواقع إلى أمته (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان كمال الكتاب ، وكلمة ربك فاعل تمت ، وصدقاً وعدلاً حال ، وأعربهما أبو البقاء والطبريّ تمييزاً ، وتبعهما الجلال ، وردّ ابن عطية هذا القول ، وقال : « وهو غير صواب » . ولعل مراده أن كلمات الله من شأنها الصدق والعدل ، والتمييز إنما يفسر ما انبهم ، وليس في ذلك إبهام . وأعربهما الكواشي حالاً من « ربك » أو على المفعولية من أجله ، وإذا أعربناهما حالين فلا بد من تأويلهما بمعنى المشتق ، أي صادقاً وعادلاً ، واقتصر الزمخشري على الحالية .

قلت : ولا أرى بعيداً أن ينصبا على نزع الخافض ، أي بالصدق والعدل ، تفادياً للتأويل ، أو على أنهما نعتان لمصدر محذوف ، أي :

تمام صدق وعدل (لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم) الجملة حالية من فاعل تمت ، أو مستأنفة ، ولا نافية للجنس ، ومبدل اسمها المبني على الفتح ، ولكلماته جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « لا ». وهو السميع العليم الواو استئنافية ، وهو مبتدأ ، والسميع خبر أول ، والعليم خبر ثان .

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾

اللغـة :

(يخرصون) : يكذبون ، من الخرص : وهو الحزر والتخمين . وسمي الكذب خرصاً لما يدخله من الظنون الكواذب ، وقد خرص يخرص وبابه نصر ، واخترص القول وتخرّصه : افتعله .

الاعراب :

(وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الواو عاطفة . وإن شرطية ، وتطع فعل الشرط ، وأكثر مفعول به ، ومن اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وفي الأرض جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، ويضلوك جواب الشرط مجزوم ، والواو

فاعل ، والكاف مفعول به ، وعن سبيل الله جار ومجرور متعلقان بيضلوك (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) الجملة مستأنفة لا محل لها ، وإن نافية ، ويتّبعون فعل مضارع مرفوع ، والواو فاعله ، وإلا أداة حصر ، والظن مفعول به والواو حرف عطف ، وإن نافية ، وهم مبتدأ وإلا أداة حصر ، وجملة يخرصون خبرهم (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) الجملة مستأنفة لتقرير مضمون الجملة الشرطية . وإن واسمها ، وهو مبتدأ وأعلم خبر ، والجملة خبر « إن » ، أو « هو » ضمير فصل ، وأعلم خبر « إن » ، ومن اسم موصول منصوب بفعل مقدر لا بنفس أعلم ، لأن اسم التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة ، وسيأتي مزيد من بحث هذا الإعراب في باب الفوائد ، والتقدير : يعلم من يضل ، وجملة يضل صلة الموصول ، وعن سبيله جار ومجرور متعلقان بيضل ، وهو مبتدأ ، وأعلم خبر ، وبالمهتدين جار ومجرور متعلقان بأعلم .

الفوائد :

شغلت هذه الآية المعربين والمفسرين ، وسنلخص لك ما قيل في هذا الصدد . فقد قال بعضهم : إن « أعلم » في الموضعين بمعنى يعلم قال حاتم الطائي :

فحالفت طيء من دوننا حلفا والله أعلم ما كنا لهم خولا

وقيل : إن اسم التفضيل على بابه ، والنصب بفعل مقدر ، كما اخترنا في باب الإعراب ، وقيل : إنها منصوبة باسم التفضيل على مذهب الكوفيين . ويشكل على ذلك أن الإضافة تقتضي أن الله بعض الضالين ، تعالى عن ذلك ، وقيل : في محل نصب بنزع الخافض ، أي : بمن يضل ،

وقيل في محل جر بإضافة اسم التفضيل إليها ، وقيل : « من » في موضع رفع ، وهي استفهامية في محل رفع مبتدأ ، والخبر جملة يضل : والجملة في موضع نصب أو معلقة عن العمل بـ « أعلم » ، أي : أعلم أي الناس يضل : كقوله تعالى : « لنعلم أي الحزبين » ؟ فتدبَّر ، والله يعصمك .

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) ﴾

الاعراب :

(فكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) الفاء هي الفصيحة ، لأنها أفصحت عن شرط مقدر ، والتقدير : إذا كنتم متحققين بالإيمان فكلوا . وهذا الأمر مرتب على النهي عن اتباع المضلّين الذين يحرّمون الحلال ويحللون الحرام . ومما جار ومجرور متعلقان بكلوا ، وجملة ذكر اسم الله عليه صلة الموصول ، واسم الله نائب فاعل ذكر ، وعليه جار ومجرور متعلقان بذكر ، وإن شرطية ، وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، والتاء اسمها ، ومؤمنين خبرها ، وبآياته جار ومجرور متعلقان بمؤمنين ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه ، أي : فكلوا (وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر

اسم الله عليه) كلام مستأنف مسوق للتأكيد على إباحة ما ذبح على اسم الله . وما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر « ما » ، وأن لا تأكلوا مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي : في أن لا تأكلوا ، ولما حذف حرف الجر كان في موضع نصب ، والجار والمجرور متعلقان بما تعلق به « لكم » الواقع خبر لـ « ما » الاستفهامية ، وما جار ومجرور متعلقان بتأكلوا ، وجملة ذكر اسم الله عليه صلة الموصول (وقد فصّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه) الواو حالية ، وقد حرف تحقيق ، وفصل فعل ماض وفاعل مستتر ، ولكم جار ومجرور متعلقان بفصّل ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة حرم عليكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإلا أداة استثناء ، وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء المنقطع ، وجملة اضطررتم إليه صلة الموصول ، ولك أن تجعله استثناء من ضمير « حرّم » ، وما مصدرية في معنى المدة ، أي الأشياء التي حرّمت عليكم إلا اضطراراً إليها ، كما فصله في آية حرمت عليكم الميتة ، فيكون الاستثناء متصلاً ، ولعل هذا أولى، لأن الاستثناء من الجنس ، وجملة اضطررتم لا محل لها على كل حال ، وإليه جار ومجرور متعلقان باضطررتم المبني للمجهول ، والتاء نائب فاعل ، والجملة كلها نصب على الحال (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم) الواو عاطفة أو حالية ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وجملة يضلون خبر إن ، وبأهوائهم جار ومجرور متعلقان بيضلون ، وبغير علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، أي : متلبسين بالجهل . (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن واسمها ، وهو مبتدأ ، أو ضمير فصل وأعلم خبر هو ، أو خبر إن ، وبالمعتدين جار ومجرور متعلقان بأعلم .

﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١) ﴾

الاعراب :

(وذروا ظاهر الإثم وباطنه) الواو عاطفة على ما تقدم ، وذروا فعل أمر ، والواو فاعل ، وظاهر الاثم مفعول به ، وباطنه عطف على ظاهر (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) الجملة تعليلية لا محل لها ، وإن واسمها ، وجملة يكسبون صلة الموصول ، والاثم مفعول به ، وجملة سيجزون خبر إن ، وبما جار ومجرور متعلقان بيجزون ، وجملة كانوا صلة الموصول ، والواو اسم كان ، وجملة يقترفون خبرها ، والعائد محذوف ، أي : يقترفونه (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، ومما جار ومجرور متعلقان بتأكلوا . ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويذكر فعل مضارع مجزوم بلم ، واسم الله نائب فاعل يذكر ، وعليه جار ومجرور متعلقان بيذكر ، وإنه الواو حالية ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وفسق خبر إن ، والضمير في « إنه » يعود إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي ،

أي : الأكل ، أو من « ما » ، أي : من متروك التسمية . وسيأتي مزيد من القول في هـذه المسألة (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) الواو عاطفة على « وإنه لفسق » ، أو استئنافية ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، وجملة يوحون خبر « إن » ، وإلى أوليائهم جار ومجرور متعلقان بيوحون ، واللام للتعليل ، ويجادلوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بـ « يوحون » أيضاً (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) الواو عاطفة ، وإن شرطية ، وأطعتموهم فعل وفاعل ومفعول به ، في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل ، والواو لإشباع الضمة ، وإن واسمها ، واللام المزحلقة ، ومشركون خبرها ، ولم يقترن جواب الشرط بالفاء لأمرين : أولهما أن لام التوطئة للقسم مقدرة قبل إن الشرطية ، لذلك أجيب القسم المقدر بقوله : « إنكم لمشركون » ، وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسدّه ، وقال أبو البقاء : حذف الفاء من جواب الشرط ، وهو حسن ، إذا كان الشرط بلفظ الماضي ، وسيأتي مزيد بحث بهذا الصدد في باب الفوائد .

الفوائد :

١ ـ شغلت الواو في قوله تعالى : « وانه لفسق » المفسرين والمعربين والفقهاء بما لا يتسع صدر هذا الكتاب له ، وقد اخترنا ما رأيناه أدنى إلى الفهم ، ونرى من المفيد أن نلمح إلى خلافهم إلماحاً سريعاً ، وعلى من يريد الاستيعاب أن يرجع إلى المطوّلات .

عبارة السمين :

قال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « قوله : وإنه لفسق . هذه الجملة فيها أوجه :

١ ـ انها مستأنفة : قالوا لا يجوز أن تكون نسقاً على ما قبلها ، لأن الأولى طلبية ، وهذه خبرية ، وتسمى هذه الواو واو الاستئناف .

٢ ـ انها منسوقة على ما قبلها ، ولا يبالي تنجأ لفهمها ، وهو مذهب سيبويه .

٣ ـ انها حالية : لا تأكلوه والحال أنه فسق » .

وعلى أساس هذه الأوجه اختلف الفقهاء في جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه :

١ ـ فذهب قوم إلى تحريمها سواء أتركها عمداً أو نسياناً ، وهو قول ابن سيرين والشعبي ومالك بن أنس ، ونقل عن عطاء أنه قال : كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام ، واحتجوا عليه بظاهر هذه الآية .

٢ ـ وقال الثوري وأبو حنيفة : إن ترك التسمية عامداً لا تحل ، وإن تركها ناسياً حلّت .

٣ ـ وقال الشافعي : تحل الذبيحة سواء أترك التسمية عامداً أو ناسياً . ونقله ابن الجوزي عن أحمد بن حنبل .

ما نقله الرازي عن الشافعي :

وذكر الرازي في كتابه : مناقب الشافعي : أن مجلساً ضمه وجماعة من الحنفية ، وأنهم زعموا أن قول الشافعي بحل أكل متروك التسمية مردود بقوله تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » ، فقال : فقلت لهم : لا دليل فيها ، بل هي حجة للشافعي ، وذلك لأن الواو ليست للعطف ، لتخالف الجملتين الاسمية والفعلية ، ولا للاستئناف ، لأن أصل الواو أن تربط ما بعدها بما قبلها ، فبقي أن تكون للحال ، فتكون جملة الحال مقيدة للنهي ، والمعنى : لا تأكلوا منه في حالة كونه فسقاً ، ومفهومه جواز الأكل إذا لم يكن فسقاً .

ما يقوله الزمخشري :

وقال الزمخشري في كشافه : « فإن قلت : قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد ؟ قلت : قد تأوّله هؤلاء بالميتة ، وبما ذكر غير اسم الله عليه ، كقوله : « أو فسقاً أهل لغير الله به » . وواضح أن الزمخشري حنفي ، فهو ينتصر لمذهبه . ويطول بنا القول إن رحنا نورد حجج الفريقين ، مما لا يندرج في نطاق كتابنا ، وحسبنا ما تقدم .

٢ ــ كل جواب يمتنع جعله شرطاً فإن الفاء تجب فيه ، لأن معناها التعقيب بلا فصل ، كما أن الجزاء يتعقب فعل الشرط كذلك ، وذلك في المواضع الآتية :

١ ــ الجملة الاسمية نحو قوله تعالى : « وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » .

٢ ــ الجملة الطلبية ، نحو قوله تعالى : « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني » .

٣ ــ الجملة التي فعلها ماضٍ ، لفظاً ومعنى ، وحينئذ يجب أن يكون مقترناً بـ « قد » ظاهرة ، نحو قوله تعالى : « إن يسرق فقد سرق » ، أو مقدّرة ، نحو قوله تعالى : « إن كان قميصه قد من قبل فصدقت » أي : فقد صدقت .

٤ ــ الجملة التي فعلها جامد ، نحو قوله تعالى : « إن ترني أنا أقلّ منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنّتك » .

٥ ــ الجملة التي فعلها مقترن بـ « قد » ، نحو قوله تعالى : « إن يسرق فقد سرق » .

٦ ــ الجملة التي فعلها مقترن بما النافية ، نحو قوله تعالى : « فإن توليتم فما سألتكم من أجر » .

٧ ــ الجملة التي فعلها مقترن بـ « لن » ، نحو قوله تعالى : « وما يفعلوا من خير فلن يكفروه » .

٨ ــ الجملة التي فعلها مقترن بالسين ، نحو قوله تعالى : « ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً » .

٩ ــ الجملة التي فعلها مقترن بسوف ، نحو قوله تعالى : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » .

١٠ ــ الجملة التي فعلها مصدر بـ « ربّ » ، نحو : « إن تجيء فربما أجيّء » .

١١ ـ الجملة التي فعلها مصدر بكأنما ، نحو قوله تعالى : « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً » .

١٢ ـ الجملة التي فعلها مصدّر بأداة شرط ، نحو قوله تعالى : « وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية » .

وقد تحذف الفاء في الندرة كقوله صلى الله عليه وسلم لأُبيّ ابن كعب لما سأله عن اللقطة : « فإن جاء بها صاحبها وإلا استمتع بها » . أو في الضرورة كقول حسان بن ثابت :

من يفعل الحسنات الله يشكرها

والشرّ بالشرّ عند الله مثلان

أراد فالله يشكرها .

هذا وقد تخلف فاء الجزاء إذا الفجائية إن كانت الأداة « إن » ، نحو قوله تعالى: «وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون» .

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

الاعراب :

(أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) كلام مستأنف مسوق للتمثيل لحال الكافر والمؤمن • والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والواو عاطفة على جملة منتزعة من قوله : « وإن أطعتموهم » والتقدير : أأنتم مثلهم ، لتستوي الجملتان في الاسمية • من اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة كان صلة الموصول ، وميتاً خبر كان ، فأحييناه الفاء عاطفة ، وأحييناه فعل وفاعل ومفعول به ، وجعلنا عطف على قوله فأحييناه ، وله جار ومجرور في موضع نصب مفعول جعلنا الأول ، ونوراً مفعول به ثان ، أو تكون « جعلنا » بمعنى : خلقنا ، فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ، لأنه كان في الأصل صفة له ، نوراً مفعول به إذا كانت جعلنا بمعنى خلقنا ومفعول ثان إذا كانت على حالها وجملة يمشي في محل نصب صفة لـ « نوراً » ، وبه جار ومجرور متعلقان بيمشي ، وفي الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : كائناً بينهم (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) كمن الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « من » ، ومثله مبتدأ ، وفي الظلمات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والجملة الاسمية صلة الموصول ، وجملة ليس بخارج منها نصب على الحال ، وليس فعل ماض ناقص ، واسمها مستتر ، والباء حرف جر زائد ، وخارج مجرور بالباء لفظاً منصوب على أنه خبر ليس محلاً ، ومنها جار ومجرور متعلقان بخارج (كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون) كذلك جار ومجرور في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، وقد تقدمت نظائره كثيراً • وزين بالبناء للمجهول ، وللكافرين جار ومجرور متعلقان بزين ، وما اسم موصول نائب فاعل ، وجملة كانوا صلة الموصول ، وجملة يعملون خبر كانوا •

البلاغـة :

في الآية التشبيه التمثيلي ، وقد سبقت الاشارة إليه كثيراً . وإن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدّد ، وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر ، فبيّن أن المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتاً فأحياه وأعطاه نوراً يهتدي به في مصالحه ، وإن الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها ، ولم تأتلف هذه الأجناس المختلفة للتمثيل ، ولم تتصادف هذه الأشياء المتباينة على حكم المشبه ، إلا لأنه لم يراع ما يحضر العين ، ولكن ما يستحضر العقل ، ولم يعن بما تنال الرؤية بل بما تعلق به الرّوّية . ونحن نعتقـد أن ما ورد في القرآن من أمثال هو عام بحق كل إنسان في مختلف ظروفـه وأحواله ، وهو الصحيح الذي يتناسب مع مدلول الهداية التي جاء بها القرآن ، ولكن المفسرين، رحمهم الله ، يتوسعون ، فيجعلون لكل آية مناسبة تتعلق بها ، وليس ثمة مانع من ذلك ما دامت أحوال الناس متناسبة متشابهة في مختلف ظروف الزمان والمكان . وقد ذكر غير واحد منهم أن في الآية رجلين معنيين ، الأول هو حمزة بن عبد المطلب عمّ النبي صلى الله عليه وسلم ، والثاني هو أبو جهل بن هشام . ويوردون قصة طريفة لا بأس بإيرادها، وخلاصتها أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث ، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل ــ وكان حمزة قد رجع من صيد ، وبيده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد ــ فأقبل حمزة غضبان حتّى علا أبا جهل ، وجعل يضربه بالقوس ، وجعل أبو جهل يتضرّع إلى حمزة ويقول : يا أبا يعلى! أما ترى ما جاء به ؟ سفّه عقولنا وسبّ آلهتنا وخالف آباءنا ! فقال حمزة : ومن أسفه منكم عقولاً ؟ تعبدون الحجارة من دون الله ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . فأسلم حمزة يومئذٍ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

اللغة :

(صغار) الصغار : بفتح الصاد الذل والهوان . يقال فيه صَغُر ككَرُم صِغَراً بكسر الصاد وفتح الغين ، وصُغْراً بضمّ الصاد وسكون الغين ، وصَغَار بفتح الصاد والغين ، وصَغارة وصُغْراناً بضم الصاد وسكون الغين . وأما صَغِر بفتح الصاد وكسر الغين ، وصَغُر بضم الغين أيضاً : فهو ضد كبر وعظم .

الاعراب :

(وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) كلام مستأنف للشروع في تقسيم الناس إلى أقوياء وضعفاء ، وخص الأكابر بالإجرام لأنهم أقدر على بثّ الإجرام والفساد . وقيل عاطفة على ما قبلها . وليس ثمة مانع . وكذلك نعت لمصدر محذوف ، وقد تقدم . وجعلنا

فعل وفاعل ، وفي كل قرية مفعول جعلنا الثاني ، وأكابر مفعول جعلنا الأول ، ومجرميها مضاف لأكابر (ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) اللام للتعليل ، وقيل للعاقبة أو الصيرورة ، وكلاهما صحيح ، والجار والمجرور متعلقان بجعلنا ، والواو للحال ، وما نافية ، ويمكرون فعل مضارع ، والجملة نصب على الحال من فاعل يمكروا ، وإلا أداة حصر ، وبأنفسهم جار ومجرور متعلقان بيمكرون ، والواو حالية ، وما نافية ، وجملة ما يشعرون في محل نصب من ضمير يمكرون (وإذا جاءتهم آية" قالوا : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) الواو عاطفة نسقاً على ما تقدم ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بقالوا ، وجملة جاءتهم في محل جر بالإضافة ، وآية فاعل ، وجملة قالوا لا محل" لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال ، ونؤمن فعل مضارع منصوب بلن ، والجملة في محل" نصب مقول القول ، وحتى حرف غاية وجر ، ونؤتى فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، ونائب الفاعل مستتر ، ومثل مفعول به ثان ، وما اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وجملة أوتي لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ورسل الله نائب فاعل (الله أعلم حيث يجعل رسالته) الله مبتدأ ، وأعلم خبره ، وحيث : اختلفت آراء المعربين فيها فقال قوم : إنها ليست ظرفاً ، لأنه تعالى أن يكون في مكان أعلم منه في مكان آخر ، ولأن علمه لا يختلف باختلاف الأمكنة ، وإنما هو مفعول به لفعل دل عليه « أعلم » ، أي : يعلم الموضع الصالح لوضع رسالته ، وهؤلاء ليسوا أهلاً" لوضعها فيهم . وقال أبو حيّان في البحر : « الظاهر إقرارها على الظرفية المجازية ، وتضمين « أعلم » معنى ما يتعدّى إلى الظرف ، فيكون التقدير : الله أنفذ علماً حيث يجعل ، أي هو نافذ العلم في هذا الموضع الذي

يجعل فيه رسالته » . وقال السفاقسي : « الظاهر أنه باق على معناه من الظرفية ، والإشكال إنما يرد من حيث مفهوم الظرف ، وكم من موضع تُرك فيه المفهوم لقيام الدليل عليه ، لا سيما وقد قام في هذا الموضع » . وجملة يجعل رسالته في محل جر بالإضافة ، ورسالته مفعول به (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) الجملة مستأنفة ، مسوقة لبيان ما يحل بهم يوم القيامة . والسين حرف استقبال ، ويصيب فعل مضارع مرفوع ، والذين اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة أجرموا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وصغار فاعل ، وعند الله ظرف متعلق بيصيب أو صفة لصغار ، أي : ثابت عند الله ، وعذاب شديد معطوفة على صغار ، والباء حرف جر للسببية ، وما مصدرية ، أو موصولة ، بمعنى الذي ، وجملة كانوا لا محل لها من الإعراب على كل حال ، وجملة يمكرون في محل نصب خبر كانوا .

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

الاعراب :

(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الفاء استئنافية ،

ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، ويرد فعل الشرط ، والله فاعله ، وأن يهديه مصدر مؤول منصوب لأنه مفعول به ، أي : هداية ، ويشرح جواب الشرط ، وصدره مفعول به ، وللاسلام جار ومجرور متعلقان بيشرح وفعل الشرط وجوابه خبر « من » • (ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء) الواو عاطفة ، ومن اسم شرط جازم معطوفة على « من » الأولى ، وأن يضلّه مصدر مؤول مفعول يرد ، ويرد فعل الشرط ، ويجعل جواب الشرط مجزوم ، وصدره مفعول به ، وضيقاً مفعول به ثان ، وحرجاً نعت لـ « ضيقاً » ، وجملة كأنما التشبيهية في محل نصب على الحال من صدره ، أو من الضمير المستكن في « ضيقاً » ، وهي كافة ومكفوفة ، ويصعّد فعل مضارع ، وفي السماء جار ومجرور متعلقان بيصّعد (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) الجملة مستأنفة، وكذلك الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف ، ويجعل فعل مضارع ، والله فاعل ، والرجس مفعول به ، وعلى الذين في موضع المفعول الثاني ، وجملة لا يؤمنون صلة الموصول (وهذا صراط ربك مستقيماً) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن ما يسير عليه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الإسلام • وهذا مبتدأ ، وصراط ربك خبر ، ومستقيماً حال مؤكد للجملة ، والعامل فيه اسم الإشارة ، باعتبار ما فيه من معنى الفعل ؛ فإنه في معنى أشير (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) الجملة مستأنفة ، وقد حرف تحقيق ، وفصلنا الآيات فعل وفاعل ومفعول به ؛ ولقوم جار ومجرور متعلقان بفصّلنا ، وجملة يذكرون صفة لقوم •

البلاغة :

في قوله : « كأنما يصّعد في السماء » تشبيه تمثيلي منتزع من

متعدد ، أي : إن حال من جعل صدره ضيقاً حرجاً كحال من يكلف الصعود إلى السماء . وقد مرت له نظائر .

﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

الاعراب :

(لهم دار السلام عند ربهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون) جملة مستأنفة لا محل لها ، كأنها جاءت جواباً عن سؤال سائل عما أعده الله لهم ، فقيل له ذلك . ويحتمل أن تكون نصباً على الحال من فاعل يذكرون . ولهم جار ومجرور متعلّقان بمحذوف خبر مقدّم ، ودار السلام مبتدأ مؤخّر ، وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من « دار السلام » والعامل فيها معنى الاستقرار المستكن في « لهم » ؛ والواو حالية ، وهو مبتدأ ، ووليهم خبر ، والباء جارّة سببية ؛ وما اسم موصول أو مصدرية ، وجملة كانوا لا محلّ لها على كل حال ، وجملة يعملون في محل نصب خبر كانوا (ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر

الجنّ قد استكثرتم من الإنس) الواو استئنافية ، ويوم ظرف منصوب بفعل محذوف ، أي : واذكر يوم نحشرهم ، وجملة نحشرهم ـ بالنون والياء ، فهما قراءتان ـ في محل جر بالإضافة بعد الظرف ، وجميعاً حال ، وقال أبو حيان : « أعرب بعضهم « يوم » مفعولاً باذكر محذوفاً ، والأولى أن يكون الظرف معمولاً لفعل القول المحكيّ به النداء ، أي : ويوم نحشرهم نقول : يا معشر الجن ، وهو أولى مما أجاز بعضهم من نصبه باذكر مفعولاً به لخروجه عن الظرفية » ويامعشر الجن منادى مضاف ، مقول قول محذوف ، أي : ونقول لهم : يا معشر الجن ، وقد حرف تحقيق ، واستكثرتم فعل وفاعل ، ومن الإنس جار ومجرور متعلقان باستكثرتم (وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض) الواو عاطفة ، وقال أولياؤهم فعل وفاعل ومن الإنس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وربنا منادى مضاف ، حذف منه حرف النداء ، واستمتع بعضنا فعل وفاعل ، وببعض جار ومجرور متعلقان باستمتع ، والجملة في محل نصب القول . (وبلغنا أجلنا الّذي أجلت لنا) الواو حرف عطف ، وبلغنا فعل وفاعل ، وأجلنا مفعول ، والذي اسم موصول في محل نصب صفة لـ « أجلنا » ، وجملة أجلت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ولنا جار ومجرور متعلقان بأجلت (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله) الجملة مستأنفة مسوقة لرد الله تعالى عليهم . وقال فعل ماض ، وفاعله يعود على الله ، والنار مبتدأ ، ومثواكم خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ، وخالدين حال من الكاف في « مثواكم » ، وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين ، وإلا ما شاء الله : إلا أداة استثناء ، وما اسم موصول أو مصدرية في محل نصب على الاستثناء من الجنس باعتبار الزمان أو المكان أو العذاب لدلالة خالدين عليهم ، أي : خالدين في كل زمان

من الأزمن زمن مشيئة الله ، أو خالدين في مكان وعذاب مخصوصين إلا أن يشاء الله نقلهم إلى غيرهما . وسيأتي مزيد من البحث عن هذا الاستثناء المذهل في باب البلاغة (إن ربك حكيم عليم) إن واسمها ، وحكيم خبرها الأول ، وعليم خبرها الثاني ، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة التعليل .

البلاغــة :

تحدثنا في باب الإعراب عن الاستثناء المذهل حسب ما يرشد إليه سياق الكلام والنصوص النحوية ، ولكن رائد البلاغة المثلى لا يقتنع بمثل هذه السهولة ، ومن أجل ذلك عني العلماء البلاغيون بهذه الآية وبأختها من سورة هود ، كما سيأتي ، وكثرت الخلافات والمناقشات حولها ، وسنجتزىء بأهمّ ما توصلنا إليه .

رأي الزمخشري :

١ ـ وللزمخشري رأي طريف بعيد عن التأويلات المتعسفة ، وأدنى إلى الدقة قال : « أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ، ولم يزل يحرق عليه أنيابــه ، وقد طلب إليه أن ينفّس عن خناقــه : أهلكني الله إن نفست عليك إلا إذا شئت ، وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد ، فيكون قوله : إلا إذا شئت ، من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد ، لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه أطماع » . وهذا الذي ذكره الزمخشري أولى من الروايات والتأويلات المتعسفة ، مثل قولهم : « فقد روي أنهم يدخلون

واديا فيه من الزمهرير ما يميّز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم » .

رأي الزّجّاج :

وقد عثرنا على رأي طريف للزجاج ، ينقع الغليل ، ولكنه مبتسر يحتاج إلى الإبانة والكشف ، فقد قال الزجاج : « والمراد والله أعلم إلا ما شاء من زيادة العذاب » . بيد أنه ـ أي : الزجاج ـ لم يبيّن وجه استقامة الاستثناء ، والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم ، والظاهر أن العذاب على درجات متباينة ، ومراتب متفاوتة ، ومقادير غير متناسبة ، وكأن المراد أنهم مخلدون في حبس العذاب ، إلا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية ، وتربو على النهاية ، حتى تكاد لبلوغها أقصى الغايات تعدّ خارجة عن العذاب ، وكأنها ليست منه ، ولا داخلة في حيّزه . والمعروف عن العرب في سنن كلامهم أنهم يعبرون عن الشيء إذا بلغ الغاية بالضّدّ ، فكأنّ هؤلاء المعذبين وقد طمّ عليهم البلاء ، وبلغوا من الشدة غايتها ، ومن اللأواء نهايتها ، وقد وصلوا إلى المدى الذي يكاد يخرجه من العذاب المطلق ، فساغت معاملته في التعبير بمعاملة المغاير ، وهذه وثبة من الزجاج ، لا تتبين فحواها إلا بهذا البسط الذي يحتاج فهمه إلى رهافة ذوق ، وشفوف طبع ، والله الموفّق .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى

وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

اللغــة :

(نولّي) من الولاية ، أي : الإمارة . يقال : وَلّى فلاناً الأمرَ توليةً : جعله والياً عليه ، وأصله من « ولي » بتخفيف اللام وكسرها ، يلي ولاية بكسر الواو ، وولاية بفتحها : الشيء ، وعليه : قام به وملك أمره ، وولي البلد : تسلّط عليه .

الاعراب :

(وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) الواو استئنافية ، وكذلك نعت لمصدر محذوف كما تقدم في نظائره ، ويجوز أن يكون الجار والمجرور في محل رفع خبر لمبتدأ محــذوف ، أي : الأمر مثل تولية بعض الظالمين ، وإليه جنح الزّجّاج . ونولي فعــل مضارع ، وبعض الظالمين مفعوله الأول ، وبعضاً مفعوله الثاني ، أو منصوب بنزع الخافض ، أي : على بعض ، والجار والمجرور متعلقان بنولي ، وبما الباء حرف جر ، وما اسم موصول في محل جر بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بنولّي ، وكان واسمها ، وجملة يكسبون خبرها ، وجملة كانوا صلة الموصول (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) يا حرف نــداء ، ومعشر الجن منــادى مضاف ، وجملة

النداء مقول قول محذوف ، أي : يقال لهم ، وجملة القول المحذوف استئناف مسوق لحكاية حال توبيخهم ، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي ، ولم حرف نفي وقلب وجزم ، ويأتكم فعل مضارع مجزوم بلم ، والكاف مفعول به ، ورسل فاعل مؤخر ، ومنكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) جملة يقصون صفة ثانية لرسل ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بيقصون ، أو بمحذوف حال ، لتخصص النكرة بالوصف . وآياتي مفعول به ، والواو حرف عطف ، وجملة ينذرونكم عطف على يقصون ، والواو فاعل والكاف مفعول به، ولقاء مفعول به ثان ، أو منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بينذرونكم ، ويومكم مضاف إليه ، وهذا صفة ليومكم ، أو بدل منه (قالوا شهدنا على أنفسنا) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون جواباً عن سؤال كأنه قيل لهم : فماذا قالوا بعد التوبيخ؟ وجملة شهدنا على أنفسنا في محل نصب مقول قولهم ، وعلى أنفسنا جار ومجرور متعلقان بشهدنا ، أي : اعترفنا وأقررنا (وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) الواو اعتراضية ، وجملة غرتهم الحياة الدنيا معترضة لبيان مدى تماديهم في الغرور ، وكرر شهادتهم على أنفسهم لأنه في الأولى حكى قولهم وكيف يقولون ويعترفون ، وفي الثانية أراد مجرّد ذمهم وتسفيه آرائهم ، ووصمهم بقلة النظر ، وأن وما بعدها في محل نصب بنزع الخافض ، أي : بأنهم كانوا كافرين ، وجملة كانوا خبر أن ، وكافرين خبر كانوا .

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾

الاعراب :

(ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) الجملة مستأنفة بمثابة التعليل ، واسم الاشارة مبتدأ ، خبره ما بعده أي : ذلك ثابت ، أو خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر ذلك ، والاشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم . وأن مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، هي مع مدخولها في محل نصب بنزع الخافض ، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف ومتعلقان بمحذوف بدل من ذلك ان كانت خبراً لمبتدأ محذوف، ولم حرف نفي ، ويكن فعل مضارع مجزوم بلم ، وجملة « لم يكن » خبر « أن » وربك اسم يكن ، ومهلك القرى خبرها ، وبظلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من ذلك ، أي ملتبساً بظلم ، أو من فاعل مهلك ، وكلاهما بمعنى واحد ، أو من القرى، أي ملتبسة بذنوبها . وأهلها الواو حالية ، وأهلها مبتدأ، وغافلون خبر ، والجملة في موضع نصب على الحال (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان حال المؤمنين والكفار . ولكل جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه ، أي : ولكل فريق ، وسيأتي في باب الفوائد بحث هام عن التنوين وأقسامه . ودرجات

مبتـدأ مؤخّر ، وما : من حرف جر ، وما مصدرية أو موصولة ، والجار والمجرور متعلقـان بمحـذوف صفة لدرجات ، وجملة عملوا لا محل لها على كل حال ، وما ربك الواو استئنافية أو حالية . وما نافية حجازية تعمل عمل ليس ، وربك اسمها ، والباء حرف جر زائد ، وغافل مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر « ما » ، وعما جار ومجرور متعلقان بغافل ، وجملة يعملون صلة « ما » الموصولية (وربك الغني ذو الرحمـة) كـلام مستأنف ، وربك مبتدأ ، والغني خبر أول ، وذو الرحمة خبر ثان (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء) الجملة الشرطية خبر ثالث ، ويجوز أن نعرب « الغني »و« ذو الرحمة » صفتين لـ « ربك » ، وتكون الجملة الشرطية خبراً لـ « ربك » ، وإن شرطية . ويشأ فعـل الشرط مجزوم ، ويذهبكـم جواب الشرط ، ويستخلف الواو حرف عطف ، ويستخلف فعل مضارع معطوف على يذهبكم . ومن بعدكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة يشاء صلة الموصول لا محل لها (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) كما الجـار والمجـرور نعت لمصدر محذوف ، وقد تقدمت نظائره ، وأنشأكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به ، ومن ذرية جار ومجرور متعلقان بأنشأكم ، وقوم مضاف إليه . وآخرين نعت لقوم (إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين) كلام مستأنف مسوق لتأكيد ما تقدم . وإن واسمها ، وجملة توعدون صلة الموصول ، وهو بالبناء للمجهول ، والعائد محذوف ، أي : به من الساعة والعذاب ، واللام المزحلقة ، وآت خبر إن ، وما الواو عاطفة، وما نافية حجازية ، وأنتم اسمها ، والباء حرف جر زائد ، ومعجزين مجرور لفظاً منصوب محلاً خبرها .

الفوائـد :

التنوين : هو نون ساكنة تلحق الآخر لفظاً لا خطّاً لغير توكيد ؛ وأنواعه المشهورة أربعة وهي :

١ ـ تنوين التمكين :

وهو اللاحق للأسماء المعربة ، وفائدته الدلالة على تمكن الاسم في الاسمية ، نحو : جاء زيدٌ ، ورأيت زيداً ، ومررت بزيدٍ .

٢ ـ تنوين التنكير :

وهو اللاحق لبعض الأسماء المبنية للفرق بين ما هو معرفة منها وما هو نكرة ، وذلك قياسيٌ في باب العلم المختوم بويه ، نحو : مررت بسيبويه وسيبويهٍ آخر ، وسماعي في باب أسماء الأفعال إذا نكرت ، نحو إيه بكسر الهمزة وكسر الهاء بلا تنوين ، وكقول حافظ ابراهيم في رثاء سعد زغلول :

إيه يا ليل هـل شهدت المصابا كيف ينصبّ في النفوس انصبابا

فإذا أردت الاستزادة من حديث ما نوّنته فقلت : إيهٍ .

٣ ـ تنوين المقابلة :

وهو اللاحق لجمع المؤنث السالم ، نحو : رأيت مؤمناتٍ ، وسمّي كذلك لأنه في مقابلة النون من جمع المذكر السالم .

٤ ـ تنوين العوض :

وهو ما يأتي به إما عوضاً عن كلمة هي مضاف إليه في كل وبعض ، نحو الآية المتقدمة « ولكلٍّ » أي : لكل فريق ، وإما عوضاً عن حرف يقضي القياس بحذفه ، وهو اللاحق للاسم المنقوص غير المنصرف ، نحو : جوارٍ وغواشٍ • وإما عوضاً عن جملة ، وهو اللاحق لفظة « إذ » عند وقوعها مضافاً إليه ، نحو : وأنتم حينئذٍ تنظرون ، فالتنوين عوض عن جملة ، أي حين إذ بلغت الروح الحلقوم •

وهذه الأقسام الأربعة هي الأصل في التنوين ، وزاد جماعة ـ منهم ابن هشام في مغني اللبيب ، وابن الخباز في شرح الجزولية ـ على هذه الأنواع الأربعة :

١ ـ تنوين الترنّم :

وهو اللاحق للقوافي المطلقة ، أي : التي آخرها حرف مد ، وهي الألف والواو والياء المولّدات من إشباع الحركة ، وتسمى أحرف الإطلاق ، كقول جرير :

أقلّي اللوم عاذل والعتابن ... وقولي إن أصبت لقد أصابن

فلحق التنوين العروض والقافية ، وهما : العتابن وأصابن ، والأصل العتابا وأصابا ، فجيء بالتنوين بدلاً من الألف ، والأول اسم ، والثاني فعل • وقد يدخل الحرف أيضاً كقول النّابغة الذّبياني :

أزف التّرحّل غير أنّ ركابنا ... لمّا تزل برحالنا وكأن قدِ

والأصل : قدي ، فجيء بالتنوين بدلاً من الياء •

٢ ـ التنوين الغالي :

وهو اللاحق للقوافي المقيّدة ، أي : التي يكون حرف رويّها ساكناً ليس حرف مدّ ، زيادة على الوزن ، ومن أجل هذا سمّي غالياً ، أي : لتجاوزه حدّ الوزن ، كقول رؤبة الرّجّاز :

وقاتمِ الأعماقِ خـــاوي المُخْتَرَقْنْ
مُشْتَبِهِ الأعـــلامِ لمّاعِ الخَفَقْنْ

٣ ـ تنوين الضرورة :

وهو اللاحق لما لا ينصرف كقول امرىء القيس :

ويومَ دخلتُ الخدرَ خـــدرَ عنيزةٍ
فقالتْ : لكَ الويـلاتُ إنّك مرجلي

وللمنادى المضموم كقول الأحْوص :

سلامُ اللهِ يا مطـــرٌ عليهـا وليس عليكَ يا مطرُ السلامُ

٤ ـ التنوين الشاذّ :

كقول بعضهم حكاه أبو زيد : هؤلاءٍ قومك .

٥ ـ تنوين الحكاية :

مثل أن تسمي رجلاً بعاقلة ، فإنك تحكي اللفظ المسموع ، فقد تحصّل تسعة أنواع . وجعل ابن الخباز كلاً من تنوين المنادى المضموم

وتنوين الممنوع من الصرف قسماً برأسه ، فتحصّل لديه عشرة أنواع أوردناها لمجرد الاطلاع والطرافة ، وإلا فبعضها غير سائغ ، ولا يقبله الذوق ، وذلك مدرك بالبداهة .

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

اللغـة :

(مكانتكم) : اختلف في ميم « مكان » و « مكانة » ، فقيل : هي أصلية ، وهما من مكن يمكن . وقيـل : هي زائدة ، وهما من الكون ، فالمعنى على القول الأول : عـلى ممكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم ، فالمكانة مصدر . وعلى الثاني : اعملوا على حالتكم التي أنتم عليها .

(ذرأ) : خلق ، وذرأ الله الخلق وذرأنا الأرض وذروناها ، أي : بذرناها . وقـد علته ذُرْأة ، وهي : بياض الشيب أول ما يبدو في الفودين منه ، ورجل أذرأ ، وامرأة ذرآء ، قال :

فمرّ ولمّا تسخن الشمس غدوة ... بذرآء تدري كيف تمشي المنائح

أي : منحت كثيراً فاعتادت ذلك ، فهي تسامح بالمشي لا تأبى .

(الزعم) بفتح الزاي وضمها ، وفي المصباح : زعم زعماً من باب قتل ، وفي الزعم ثلاث لغات : فتح الزاي لأهل الحجاز ، وضمها لبني أسد ، وكسرها لبعض قيس . ويطلق الزعم بمعنى القول ، ومنه : زعمت الحنفية ، وزعم سيبويه ، أي : قال ، وعليه قوله تعالى : « أو تسقط السماء كما زعمت » أي : قلت . ويطلق على الظنّ ، يقال : في زعمي كذا . وعلى الاعتقاد ، ومنه قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا » . قال الأزهري : وأكثر ما يكون الزعم فيما يشكّ فيه ، ولا يتحقق . وقال بعضهم : هو كناية عن الكذب ، وقال في أساس البلاغة : « وزعموا مطيّة الكذب ، وفي قوله مزاعم : إذا لم يوثق به ، وأفعل ذلك ولا زعماتك » وهذا القول : ولا زعماتك ، أي : ولا أتوهم زعماتك . قال ذو الرمة :

لقد خطّ روميٌّ ولا زعماته
لِعَتْبَةَ خطّاً لم تطبَّق مفاصلُه

روميّ : عريف كان بالبادية ، قضى عليه لعتبة بن طرثوث ، رجل كان يخاصمه في بئر ، وكتب له سجلاً .

الاعراب :

(قل : يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ) كلام مستأنف مسوق للوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه . ويا حرف نداء ، وقوم منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة ، وقد تقدّم بحثه .

واعملوا فعل أمر ، والمقصود منه التهديد والزجر ، وعلى مكانتكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وإن واسمها ، وعامل خبرها ، والجملة بمثابة التعليل للأمر (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون) الفاء للتعليل ، والجملة تعليلية لا محل لها ، وإنما أتت لتأكيد مضمون الجملة وفحواها ، ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به لتعلمون التي هي بمعنى العرفان ، فهي تتعدى لواحد ، وجملة تكون لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ويجوز أن تكون « من » استفهامية في محل رفع مبتدأ ، وخبرها جملة تكون ، والجملة في محل نصب مفعول تعلمون ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر تكون المقدم . وعاقبة الدار اسمها المؤخر ، وإن واسمها ، وجملة لا يفلح الظالمون خبرها ، والجملة تعليلية أيضاً ، وكأنها في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل : وما عاقبتهم ؟ (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً) كلام مستأنف مسوق لبيان نوع أو نمط من أحكامهم الفاسدة ، وجعل هنا بمعنى :صير ، فهي تنصب مفعولين ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف هو المفعول به الثاني ، والمفعول الأول نصيباً . ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان صفة لـ « نصيباً » ، وتقدمت عليه ، وجملة ذرأ لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ومن الحرث جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أيضاً من « نصيباً » ، والأنعام عطف على الحرث (فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) الفاء حرف عطف ، وقالوا عطف على جعلوا ، واسم الإشارة مبتدأ ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ، وبزعمهم جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الاستقرار من قوله « لله » ، وهذا لشركائنا مبتدأ وخبر ، والجملة معطوفة على : هذا لله (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الفاء

تفريعية ، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة الاستئنافية ، وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وجملة كان صلة لا محل لها ، وكان فعل ماض ناقص ، واسمها مستتر ، ولشركائهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط ، ولا نافية ،وجملة لا يصل إلى الله في محل رفع خبر « ما » (وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) الواو عاطفة ، وما كان لله تقدم إعرابها ، والفاء رابطة ، وهو مبتدأ ، وجملة يصل إلى شركائهم خبره (ساء ما يحكمون) الجملة مستأنفة ، وساء فعل ماض جامد من أفعال الذم ، وما اسم موصول فاعل ، وقيل : ما نكرة تامة بمعنى شيء منصوبة على التمييز ، والتقدير : ساء حكماً حكمهم ، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد •

الفوائد :

اختلف النحاة في كلمة « ما » بعد أفعال المدح والذم : نعم وبئس وساء ، فقال ابن مالك في الخلاصة :

و« ما » مميّز ، وقيل : فاعل   في نحو : نعم ما يقول الفاضل

وتفصيل ذلك أن يقال : إن « ما » هذه على ثلاثة أقسام :

١ ــ مفردة : أي غير متلوّة بشيء •

٢ ــ متلوّة بمفرد •

٣ ــ متلوّة بجملة فعلية •

فالأولى : نحو : دققته دقّاً نعمّا ، وفيها قولان :

آ ــ معرفة : فهي اسم موصول فاعل •

ب ــ نكرة تامة : وعليها فالمخصوص محذوف أي : نعم الدقّ •

والثانية نحو : فنعمّا هي وبئسما تزويج بلا مهر ، وفيها ثلاثة أقوال :

معرفة تامة فاعل ، ونكرة تامة ، ومركبة مع الفعل قبلها تركيب « ذا » مع « حبّ » ، فلا موضع لها ، وما بعدها فاعل •

والثالثة المتلوّة بجملة فعلية ، نحو : « نعمّا يعظكم به » ، و « بئسما اشتروا به أنفسهم » ، وفيها أقوال ، أهمها أربعة :

آ ــ أنها نكرة في موضع نصب على التمييز •

ب ــ أنها في موضع رفع على الفاعلية •

جـ ــ أنها هي المخصوص •

د ــ أنها كافّة •

فأما القائلون بأنها في موضع نصب على التمييز فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال :

آ ــ أنها نكرة موصوفة بالفعل بعدها ، والمخصوص محذوف •

ب ــ أنها نكرة موصوفة والفعل بعدها صفة لمخصوص محذوف.

جـ ــ أنها تمييز ، والمخصوص « ما » أخرى موصولة محذوفة ، والفعل صلة لـ « ما » الموصولة المحذوفة ، وهذا ما نختاره للسهولة في الإعراب •

وأما القائلون بأنها في موضع رفع على الفاعلية فاختلفوا فيها على خمسة أقوال :

آ ــ أنها اسم معرفة تام ، أي : غير مفتقر إلى صلة ، والفعل بعدها صفة لمحذوف .

ب ــ أنها موصولة ، والفعل صلتها ، والمخصوص محذوف .

جـ ــ أنها موصولة ، والفعل صلتها ، مكتف بها وبصلتها عن المحذوف .

د ــ أنها مصدرية سادة بصلتها ــ لاشتمالها على المسند والمسند إليه ــ مسد الفاعل والاسم المخصوص جميعاً .

هـ ــ أنها نكرة موصوفة ، والمخصوص محذوف .

وأما القائلون بأنها هي المخصوص فقالوا : إنها موصولة ، والفاعل مستتر ، و « ما » أخرى محذوفة هي التمييز ؛ وأما القائلون بأنها كافّة كفّت « نِعْمَ » عن العمل كما كفت : قلّ وطال وكثر وشدّ عنه ، فصارت تدخل على الجملة الفعلية .

تطبيق الخلاف على الآية :

فإذا أردنا تطبيق ما أجملناه على « ساء ما يحكمون » فإن جعلنا « ما » تمييزاً فهي نكرة موصوفة ، أي : ساء شيئاً يحكمونه ، وإن جعلناها فاعلاً فهي معرفة ناقصة ، أي ساء الذي يحكمونه ، وعليهما فالمخصوص بالذم محذوف دائماً . أطلنا في هذا النقل لأن النحاة اضطرب كلامهم فيه اضطراباً شديداً .

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

الاعراب :

(وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان التأثر بأقوال دعاة السوء المرجفين بالأكاذيب . وكذلك جار ومجرور في محل نصب نعت لمصدر محذوف كنظائره ، ولكثير جار ومجرور متعلقان بـ « زيّن » ، ومن المشركين جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لكثير ، وقتل مفعول به مقدم ، وأولادهم مضاف إليه ، وشركاؤهم فاعل زين المؤخر (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم) اللام للتعليل ، ويردوهم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان بزيّن ، وليلبسوا عطف على ليردوهم ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بيلبسوا ، ودينهم مفعول به ، فعلل التزيين بشيئين : بالإرداء ، أي : بالإهلاك ، وبإدخال الشبهة عليهم في دينهم . والجملة مستأنفة على الأصح ، أي : وهكذا زين . (ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون) الواو استئنافية ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل والمفعول به محذوف ، أي : عدم فعلهم ، وما نافية ، وفعلوه فعل وفاعل ومفعول به ، والضمير المرفوع يعود على « كثير » ، والضمير المنصوب يعود على القتل ، لأنه هو المسوق للحديث عنه ، فذرهم الفاء الفصيحة ، وذرهم فعل أمر وفاعل مستتر

ومفعول بـه ، والواو حرف عطف أو للمعية ، وما اسم موصول أو مصدرية ، أي : ذرهم والذي يفترونه من الكذب ، أو ذرهم وافتراءهم.

الفوائـد :

في هذه الآية قراءات كثيرة لا يتسع لها صدر هذا الكتاب ، وقد درجنا على عدم الإشارة الى قراءة ما إلا إذا كانت تنطوي على بحث هام، فاكتفينا في باب الإعراب بقراءة العامة وقرأ ابن عامر وهو من السبعة : « وكذلك زُيّن لكثير من المشركين قَتْلُ أولادَهم شركائِهم » برفع « قَتْلُ » عـلى النيابة عن الفاعـل بزين المبني للمجهول ، ونصب « أولادَهم » وجر « شركائِهم » . ف « قَتْلُ » على قراءة ابن عامر مصدر مضاف وشركائهم مضافة الى « قَتْلُ » من إضافة المصدر الى فاعله ، وأولادهـم مفعوله ، وفصل به بـين المضاف والمضاف إليه ، وحسن ذلك ثلاثة أمور :

١ ــ كون الفاصل فضلة ، فإن ذلك مسوغ لعدم الاعتداد به .

٢ ــ كونه غير أجنبي لتعلّقه بالمضاف .

٣ ــ كونه مقدر التأخير من أجل أن المضاف إليه مقدر التقديم بمقتضى الفاعلية المعنوية .

وبذلك يتبين مدى تهافت الزمخشري في قوله :

ما قاله الزمخشري :

« وأما قراءة ابن عامر « قَتْلُ أولادَهم شركائِهم » برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء ، على إضافة القتل الى الشركاء والفصل

بينهما بغير الظرف ، فشيء لو كان في مكان الضرورات ـ وهو الشعر ـ لكان سمجاً مردوداً ، فكيف به في الكلام المنثور ؟ فكيف به في القرآن المعجز بحسب لفظه وجزالته » ؟ .

الفصل بين المتضايفين :

هذا وقد زعم كثير من النحويين أنه لا يفصل بين المتضايفين إلا في الشعر خاصة ، لأن المضاف منزل من المضاف إليه منزلة جزئه ، لأنه واقع موقع تنوينه ، فكما لا يفصل بين أجزاء الاسم لا يفصل بينه وبين ما نزّل منزلة الجزء منه ، وهذا قول البصريين . وعند الكوفيين أن مسائل الفصل سبع ، منها ثلاث جائزة في السعة ، أي : النثر ، وهي :

١ ـ أن يكون المضاف مصدراً والمضاف إليه فاعله ، والفاصل إما مفعوله كقراءة ابن عامر الآنفة الذكر ، وقول الشاعر :

عتوا إذ أجبناهم الى السلم رأفة

فسقناهم سوق البغاثَ الأجادلِ

فسوق مصدر مضاف ، والأجادل مضاف إليه ، من إضافة المصدر إلى فاعله ، والبغاث مفعوله ، وفصل به بين المضاف والمضاف إليه ، والأصل : سوق الأجادل البغاث . وإما ظرفه كقول بعضهم : « تَرْكُ يوماً نفسِك وهواها موبق لها » ، فترك مصدر مضاف ، ونفسك مضاف إليه ، من إضافة المصدر إلى فاعله ، ومفعوله محذوف ، ويوماً ظرف للمصدر ، بمعنى أنه متعلق به ، وفصل به بين المضاف والمضاف إليه .

٢ ـ أن يكون المضاف وصفاً والمضاف إليه مفعوله الأول ، والفاصل مفعوله الثاني ، كقراءة بعضهم : « فلا تحسبنّ اللهَ مخلفَ وعدَه رسلِه » بنصب وعده وجر رسله ، فمخلف اسم فاعل وهو متعد لاثنين ، وهو مضاف ، ورسله مضاف إليه ، من إضافة الوصف إلى مفعوله الأول،ووعده مفعوله الثاني،وفصل به بين المضاف والمضاف اليه.

٣ ـ أن يكون الفاصل قسماً كقولهم : « هذا غلامُ واللهِ زيدٍ »، بجر زيد بإضافة الغلام إليه وفصل بينهما بالقسم .

والمسائل الأربع الباقية من السبع تختص بالشعر وهي :

١ ـ الفصل بالأجنبي كقول جرير :

تسقي امتياحاً نـدى المسواكَ ريقتِها

كما تضمّنَ ماءَ المزْنَةِ الرَّصَفُ

فتسقي مضارع سقى متعدٍ لاثنين ، وفاعله ضمير يرجع الى المحبوبة في البيت قبله ، وندى مفعوله الأول وهو مضاف ، وريقتها مضاف إليه والمسواك مفعوله الثاني ، فصل به بين المضاف والمضاف إليه، أي : تسقي ندى ريقتها المسواك ، والمسواك أجنبي من « ندى » لأنه ليس معمولاً له وإن كان عاملهما واحداً .

٢ ـ الفصل بفاعل المضاف كقوله :

ما إن وجدنا للهوى من طبٍّ ولا عدمنا قهرَ وجدُ صبٍّ

فأضاف « قهرَ » الى مفعوله وهو « صب » ، وفصل بينهما بفاعل المصدر وهو « وجد » .

٣ ـ الفصل بنعت المضاف ، كقول معاوية بن أبي سفيان ، لما اتفق ثلاثة من الخوارج على أن يقتل كل واحد منهم واحداً من علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ، فقتل علي ، وسلم عمرو ومعاوية :

نجوت وقد بل المرادي سيفه   من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

ففصل بين المتضايفين ، وهما : أبي وطالب ، بنعت المضاف وهو : شيخ الأباطح ، أي : من ابن أبي طالب شيخ الأباطح . والمرادي بفتح الميم نسبة الى مراد ، بطن من مذحج ، وهو عبد الرحمن بن ملجم ، بضم الميم وفتح الجيم ، على صيغة اسم المفعول .

٤ ـ الفصل بالنداء كقوله :

كأن برذون أبا عصام   زيد حمار دقّ باللجام

فأضاف برذون الى زيد ، وفصل بينهما بالمنادى الساقط حرفه ، وحمار خبر كأن ، والأصل كأن برذون زيد حمار يا أبا عصام . والى هذا كله أشار ابن مالك في الخلاصة بقوله :

فَصْلَ مضافٍ شبهِ فعلٍ ما نَصَبْ

مفعولاً أو ظرفاً أجِزْ ولم يُعَبْ

فَصْلُ يَمينٍ واضطراراً وُجِدا

بأجنبي أو بنعتٍ أو نِدَا

بين أبي حيّان والزمخشري :

هذا وقد رد أبو حيان على الزمخشري ، وأغلظ في الردّ ، قال

بعد أن أورد كلام الزمخشري الذي أوردناه في مستهل هذا البحث : « وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً » .

بين أبي حيان والفارسي :

ومضى أبو حيان يرد على أبي علي الفارسي قال : « ولا التفات أيضاً لقول أبي علي الفارسي : هذا قبيح قليل في الاستعمال ، ولو عدل عنها ــ يعني ابن عامر ــ كان أولى ، لأنهم لم يجيزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظرف ، وإنما أجازوه في الشعر » .

لمحة عن عقبة بن عامر :

أما عقبة فهو الصحابي الجليل والقائد الأمير الذي اشترك في فتح مصر ، ثم حكمها نيابة وأصالة . وهو رجل مستنير ذكي يتمتع بمزايا فكرية واضحة ، وقد كلفه النبي صلى الله عليه وسلم أن يقضي بين خصمين اختصما إليه ، وكان شاعراً قارئاً كاتباً .

أبو الطيّب المتنبي فصل بين المتضايفين :

هذا وقد استعمل أبو الطيب المتنبي الفصل بين المتضايفين ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، فقال من قصيدة يمدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسين :

حلَّتْ إليه من لساني حديقةٍ
سقاها الحِجَا سَقْيَ الرياضَ السحائبِ

فقد فصل بالمفعول . ومعنى البيت أنه جعل القصيدة حديقة لما فيها من المعاني كما يكون في الروضة من الزهر والنبات ، وجعل العقل ساقياً لها . لأن المعاني التي فيها إنما تحسّن بالعقل ، فجعل العقل ساقيها كما تسقي الرياض السحاب ، وهو جمع سحابة .

كلمة ابن جنّي :

وقال أبو الفتح ابن جني : « إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي وما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ما أورده يقبله القياس ، فالأولى أن يحسن به الظنّ ، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها » .

كلمة أبي عمرو بن العلاء :

وقال أبو عمرو بن العلاء : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » .

رواية عن عمر بن الخطاب :

وروى ابن سيرين عن عمر بن الخطاب أنه حُفظ أقل ذلك ، وذهب عنهم كثيرُه . يعني الشعر ، في حكاية فيها طول .

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾

اللغـة :

(حجر) : فِعْل بكسر الفاء ، بمعنى مفعول ، كالذبح والطحن ، ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات ، ولذلك وقع صفة لأنعام وحرث ، ومعناه الحَجْر ، أي : المنـع . كانوا إذا عينوا أشياء من حرثهـم وأنعامهم لآلتهم قالوا : لا يطعمها إلا من نشاء ، فجعلوا نصيب الآلهة أقساماً ثلاثة : الأول ما ذكره بقوله : حِجْر ، أي : ممنوعة محرّمة . والثاني ما ذكره بقوله : « وأنعام حرمت ظهورها » . والثالث قوله : «لا يذكرون اسم الله عليها » فجعلوهـا أجناساً بهواهم ، ونسبوا ذلك التجنيس الى اللـــه .

(خالصة) التاء في خالصة للمبالغة، مثلها في راوية وعلامة ونسّابة والخاصة والعامة ، أو تكون مصدر على وزن فاعلة ، كالعافية والعاقبة .

الاعراب :

(وقالوا : هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لحكاية نوع آخر من أنواع كفرهم . وهذه اسم اشارة في محل رفع مبتدأ ، وأنعام خبر ، والجملة الاسمية مقول القول ، وحرث عطف على أنعام ، وحجر وصف لهما ، أي : محجورة ممنوعة محرّمة ، وجملة لا يطعمها صفة ثانية لأنعام ، ويطعمها فعل مضارع ومفعول به ، وإلا أداة حصر ، ومن اسم موصول في محل رفع فاعل يطعمها ، وجملة نشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول، وبزعمهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل قالوا ، أي : قالوا ذلك ملتبسين بزعمهم الباطل (وأنعـام حرمت ظهورها) الواو عاطفة ، وأنعام خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هذه والجملة معطوفة على قوله : « هذه أنعام » ، أي قالوا مشيرين الى طائفة أخرى من أنعامهم ، ويريدون بها البحائر والسوائب والحوامي . وقد تقدمت في المائدة . وجملة حرمت ظهورها صفة ، أي : لا تركب ، وظهورها نائب فاعل حرمت (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) الواو حرف عطف ، وأنعام خبر لمبتدأ محذوف أيضاً ، والجملة عطف على ما تقدم ، فالمقولات ثلاث ، وجملة لا يذكرون صفة لأنعام ، واسم الله مفعول به ، وعليها جار ومجرور متعلقان بيذكرون ، وافتراء يجوز فيه أن يكون مفعولاً لأجله ، أي : فعلوا ذلك كله لأجل الافتراء ، ويجوز أن يكون حالاً ، أي : مفترين ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً ، لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء ، فهو نظير قولك : رجـع القهقرى ، وقعـد القرفصاء . وعليه جار ومجرور متعلقان بافتراء ، أو بمحذوف صفة له (سيجزيهم بما كانوا يفترون) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير جزائهم ،

وبما جار ومجرور متعلقان بيجزيهم ، ويجوز في « ما » أن تكون مصدرية أو موصولة ، والباء للسببية ، أي : بسبب افترائهم أو بسبب الذي كانوا يفترونه على الله (وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرّم على أزواجنا) كلام مستأنف مسوق للشروع في قول آخر من مفترياتهم وأباطيلهم ، فقد كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب : ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور ، ولا تأكل منه الإناث، وما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث ٠ وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ ، وفي بطون جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول ، وهذه اسم إشارة في محل جر بالإضافة ، والأنعام بدل منْ اسم الإشارة ، وخالصة خبر عن « ما » ولذكورنا جار ومجرور متعلقان بخالصة ، ومحرم عطف على خالصة ، وعلى أزواجنا جار ومجرور متعلقان بمحرّم (وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء) الواو حرف عطف ، وإن شرطية ، ويكن فعل الشرط ، واسم يكن مستتر تقديره : وإن يكن ما في بطونها ، وميتة خبر ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وهم ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ ، وشركاء خبر ، وفيه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه كان في الأصل صفة لشركاء ، ولك أن تعلقه بشركاء (سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم) كلام مستأنف بمثابة التعليل ، مسوق لبيان تلاعبهم بأحكام التحريم والتحليل بما تقتضيه حكمته ، ويتطلبه علمه ٠ والسين حرف استقبال ، ويجزيهم فعل مضارع مرفوع ، والفاعل مستتر يعود على الله تعالى ، والهاء مفعول به أول ، ووصفهم مفعول به ثان ليجزيهم ، وجملة إنه حكيم عليم تعليلية لا محل لها ، ولا بد من تقدير مضاف ، والتقدير : سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم ٠

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

الاعراب :

(قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم) كلام مستأنف مسوق لبيان نمط آخر من جهالاتهم ، فقد كان بعض العرب من ربيعة ومضر يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر . وقد حرف تحقيق ، وخسر الذين فعل وفاعل ، وجملة قتلوا أولادهم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وسفهاً مفعول لأجله ، أي لخفة عقولهم وجهلهم ، وبغير علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل قتلوا ، أي : جاهلين أن الله هو الرازق لهم ولأولادهم (وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله) الواو عاطفة ، وحرموا فعل وفاعل ، وما اسم موصول مفعول به ، وجملة رزقهم الله صلة ، وافتراء مفعول لأجله أو حال ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافتراء (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الجملة تأكيد لقوله : « قد خسر الذين » ، والواو حرف عطف ، وما نافية ، وكانوا مهتدين : كان واسمها وخبرها .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

اللغــة :

(معروشات): عرَش يعرَش ويعرُش من بابي تعب ونصر: بنى بناء من خشب . وعرش البيت : بناه . وعرش العرش عمله . والعرش سرير الملك ، وركن الشيء . وأصل العرش في اللغة : شيء مسقّف يجعل عليه الكرم ، وجمعه عروش . واستوى على عرشه إذا ملك . وثلّ عرشه : إذا هلك . قال زهير :

تداركتما عبساً وقــد ثُلَّ عرشُهــا
وذبيــانَ إذ زلّتْ بأقدامها النّعْــلُ

والعروش : البيوت ، قال القطامي :

وما لمثابــات العــروش بقيّــة
إذا استلّ من تحت العروش الــدّعائم

ومكتنسات في العرائش : أي الهوادج . واختلفوا في معناهــا فقــال ابن عباس : « المعروشات ما انبسط عــلى الأرض وانتشر ، مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك ، وغير معروشات : ما قام على ساق. كالنخل والزرع وسائر الشجر » ، وقال الضحاك : « كلاهما في الكرم خاصة ، لأن منه ما يعرش ومنه مالا يعرش ، بل يبقى على وجه الأرض منبسطاً » . وقال في الكشاف : « معروشات : مسموكات . وغــير

معروشات ، متروكات على وجه الأرض لم تعرش • وقيل : المعروشات مافي الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به ، فعرّشوه • وغير معروشات مما أنبته الله وحشياً في البراري والجبال ، فهو غير معروش » •

الاعراب :

(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) الواو استئنافية ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة أنشأ لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجنات مفعول به ، ومعروشات صفة ، وغير معروشات عطف على معروشات (والنخل والزرع مختلفاً أكله) والنخل والزرع : عطف على جنات ، ومختلفاً حال مقدرة ، لأن النخل والزرع وقت خروجه لا أكل منه حتى يكون مختلفاً أو متفقاً ، وأكله فاعل « مختلفاً » لأنه اسم فاعل (والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه) عطف على ما سبقه أيضاً ، وخصّ هذه الأجناس لما فيها من الفضيلة على سائر ما ينبت في الجنات ، ومتشابهاً حال ، وغير متشابه عطف عليه (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) كلام مستأنف مسوق لبيان إباحته • وكلوا فعل أمر والواو فاعل ، ومن ثمره جار ومجرور متعلقان بكلوا ، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ، وآتوا فعل أمر معطوف على كلوا ، وحقه مفعول به ، ويوم ظرف زمان متعلق بآتوا ، وحصاده مضاف إليه ، والمراد بالحق هنا الزكاة ، ولا يشكل كون السورة مكية ، والزكاة فرضت بالمدينة ، لأن هذه الآية مدنية ، والمراد به أيضاً ما كان يتصدق به على المساكين وقت الحصاد ، وكان ذلك معروفاً (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الواو عاطفة ، ولا ناهية ،

وتسرفوا فعل مضارع مجزوم بلا ، أي : لا تجاوزوا الحدّ ، قال الزّجاج : وعلى هذا لو أعطى الإنسان كل ماله ، ولم يوصل إلى عياله شيئاً فقد أسرف . وإن واسمها ، وجملة لا يحب المسرفين خبرها ، وجملة إن وما في حيزها تعليل لما تقدم .

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤) ﴾

اللغة :

(حمولة) الحمولة بفتح الحاء : ما أطاق الحمل عليه من الإبل .

(فرشاً) والفرش : صغارها . هذا هو المشهور في اللغة ، قال في الأساس : « ومرت الحمولة : وهي الإبل التي يحمل عليها ، « ومن الأنعام حمولة وفرشاً » ، وقال عنترة :

ما راعني إلاّ حمولةُ أهلِها
وسْطَ الديارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ

قال شارحه الزوزني : « الحمولة : الإبل التي تطيق أن يحمل عليها » . وقيل : « الحمولة : كبار النعم ، أعني الإبل والبقر والغنم ، والفرش صغارها » . وقال الزّجّاج : « أجمع أهل اللغة على أن الفرش صغار الإبل » . وقال أبو زيد : « يحتمل أن يكون تسميته بالمصدر ، لأن الفرش في الأصل مصدر ، والفرش لفظ مشترك بين معان كثيرة ، منها : متاع البيت ، والفضاء الواسع ، واتساع خفّ البعير قليلاً ، والأرض الملساء ، ونبات يلتصق بالأرض » . وقيل : الحمولة : كل ما حمل عليه من إبل وبقر وبغل وحمار . والفرش : ما اتخذ من صوفه ووبره وشعره ما يفرش » . وقال الزمخشري : « أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال ، وما يفرش للذبح ، أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش . وقيل : الحمولة التي تصلح للحمل ، والفرش الصغار ، كالفصلان والعجاجيل والغنم ، لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها ، مثل : الفرش المفروش عليها » .

(الضأن) : قيل : هو جمع ضائن للذكر وضائنة للمؤنث ، وقيل : اسم جمع ، وكذا يقال في المعز ، سواء سكّنت عينه أو فتحت . وفي القاموس : أضْئِنْ ضأنَك : اعزلها من المَعَز . والضأن اسم جنس بخلاف الماعز من الغنم ، والضائن : ذو الصوف ، خلاف الماعز من الغنم ،

وجمعـــه ضأْن وضأَن وضئين وضِئين . وفي الأساس : ماله الضأْن والمَعْز والضئين والمَعِز ، وعنده ضائنة من الغنم ولحم وجلد ضائن وماعز ، وأضأن فلان وأمعز كثر ضأنه ومَعْزه ، وتقول العرب : إضأَنْ ضأنك وامْعَزْ معْزَك أي : اعزلها » .

(المعز) في المصباح: المعز اسم جنس لا واحد له من لفظه، وهي ذوات الشعر من الغنم ، الواحـدة : شاة ، وهي مؤنثة ، وتفتح العـين وتسكن ، وجمع الساكن أمْعُز ومَعِيز مثل : عبد : أعْبُد وعبيد ، والمعزى ألفها للإلحاق لا للتأنيث ، ولهذا ينوّن في النكرة ، ويصغر على مُعيز ، ولو كانت الألف للتأنيث لم تحذف . والذكر ماعز ، والأنثى ماعزة .

الاعراب :

(ومن الأنعام حمولة وفرشاً) الواو حرف عطف ، ومن الأنعام جار ومجرور متعلقـان بمحذوف حـال ، لأنه كان في الأصل صفة لـ « حمولة وفرشاً » ، وتقدم عليهما ، وحمولة عطف على جنات ، أي : وأنشأ من الأنعـام حمولة وفرشاً (كلوا مما رزقكـم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبـين) كلام مستأنف مسوق لبيان ما جمجموا به واضطربت به أقوالهم ، وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة ، وإناثها تارة ، فأنكر عليهم ذلك . وكلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، ومما جار ومجرور متعلقان بكلوا ، وجملة رزقكـم الله لا محل لها لأنهـا صلة الموصول ، ولا ناهية ، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، وخطوات الشيطان مفعول به ، والجملة معطوفة على جملة كلوا ، وإن واسمها ، ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وعدو خبر إن ، ومبين صفة ، والجملة

تعليلية لا محل لها (ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشاً ، وقيل : هو منصوب بكلوا مما رزقكم الله ، أو بـ « أنشأ » مقدرة ، وإلى هذا ذهب الكسائي . والزوج : ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل ، والمراد أربعة ذكور من كل من الإبل والبقر والغنم ، وأربع إناث كذلك ، ومن الضأن جار ومجرور متعلقان بفعل أنشأ مقدراً ، واثنين بدل من ثمانية أزواج ، وقد عطف على بقية الثمانية (قل آلذكرين حرم أم الأنثيين) قل فعل أمر ، وفاعله مستتر تقديره أنت ، والجملة معترضة لا محل لها ، والهمزة للاستفهام الإنكاري ، والذكرين مفعول به مقدم لحرّم ، وأم حرف عطف ، والانثيين عطف على الذكرين ، والجملة في محل نصب مقول القول (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) أم الثانية عاطفة ، عطفت « ما » الموصولية بعدها على الأنثيين ، فهي في محل نصب ، فلما التقت ميم ساكنة مع ما بعدها وجب الإدغام ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب الفوائد (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) الجملة معترضة أيضاً مسوقة لتعجيزهم ، وقد وقعت هاتان الجملتان الاعتراضيتان بين المعدودات للتأكيد على بطلان أقوالهم ، ونبئوني فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وبعلم جار ومجرور متعلقان بنبئوني ، وإن شرطية ، وكان واسمها ، وهي فعل الشرط ، وصادقين خبرها ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) تقدم إعراب نظيرها تماماً (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) أم منقطعة وهي تقدر ببل والهمزة والتقدير : بل أكنتم شهداء ، وإذ ظرف متعلق بشهداء وجملة وصاكم الله في محل جر بالاضافة وبهذا متعلقان بوصاكم (فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم) الفاء هي الفصيحة ، أي :

إذا عرفتم هذا ورسخ في عقولكم ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ، وأظلم خبر ، والجملة لا محل لها ، والاستفهام معناه النفي ، أي : لا أحد أظلم ، وممن جار ومجرور متعلقان بأظلم ، وجملة افترى لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعلى الله جار ومجرور متعلقان بافترى، وكذباً مفعول به أو مفعول مطلق ، وقد تقدم إعراب نظيره . واللام للتعليل ، ويضل فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والناس مفعول به،ولام التعليل ومدخولها متعلقان بافترى،وبغير علم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل افترى ، أي : افترى عليه تعالى (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إن واسمها ، وجملة لا يهدي خبرها ، والقوم مفعول به والظالمين نعت للقوم ، والجملة الاسمية تعليلية لا محل لها من الإعراب .

الفوائد :

الادغام : هو إدخال حرف في حرف آخر من جنسه ، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً ، وله ثلاث أحوال :

١ ـ وجوب الادغام :

وذلك إذا كانا متجانسين في كلمة واحدة ، وأما قول الشاعر :

الحمـد لله العليّ الأجلـل   الواسع الفضل الوهوب المجزل

فمن الضرورات الشعرية . ويجب إدغام المثلين المتجاورين أولهما إذا كانا في كلمتين ، كما كانا في كلمة واحدة ، مثل : سكتّ وسكتّنا وعنّي وعليّ ، واكتب بالقلـم ، واستغفر ربك ؛ وكالآيـة التي نحن

بصددها « أمّا اشتملت عليه » . وشذت ألفاظ لا يقاس عليها ، مثل : ألِلَ السِّقاء والأسنان إذا تغيرت رائحتها وفسدت ، ودَبَبَ الإنسان إذا نبت الشعر في جبينه ، وضبِبَت الأرض إذا كثر ضبابها ، وقَطِطَ الشعر إذا كان قصيراً جعداً ، ويقال قطّ بالإدغام ، ولَحِحَت العين إذا ألصقت أجفانها بالرّمص ، ولَخِخَت إذا كثر دمعها وغلظت أجفانها .

٢ ـ جواز الادغام وتركه :

ويكون في أربعة مواضع :

آ ـ أن يكون الحرف الأول من المثلين متحركاً والثاني ساكناً بسكون عارض للجزم ، أو للبناء في الأمر المفرد ، فتقول : لم يمدَّ ومدَّ بالإدغام ، ولم يمدد وامدد ، والفكّ أجود ، وبه نطق القرآن ، قال تعالى : « يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » . وقال : « واشدد على قلوبهم » . وتكون حركة ثاني المثلين المدغمين في المضارع المجزوم والأمر اللذين لم يتصل بهما شيء تابعة لحركة فائه ، وهذا هو الأكثر ، ونرى أن يحرك بالفتح للتخفيف .

ب ـ أن يكون عين الكلمة ولامها ياءين ، لازماً تحريك ثانيهما ، مثل : عيِيَ وحيِيَ . فتقول : عيّ وحيّ ، فإن كانت حركة الثانية عارضة للإعراب مثل : لن يحيي ، امتنع إدغامه .

جـ ـ أن يكون في أول الفعل الماضي تاءان مثل : تتابع وتتبّع ، فيجوز الإدغام مع زيادة همزة وصل في أوله ، دفعاً للابتداء بالساكن ،

مثل : إتّابع واتّبع ، فإن كان مضارعاً لم يجز الإدغام ، بل يجوز تخفيفه ، بحذف إحدى التاءين فتقول في : تَتَلظّى : تَلَظّى ، وفي تتجلّى : تَجَلّى ، قال تعالى : « تَنَزَّل الملائكة والرّوح » وقال : « ناراً تَلَظّى » وقال أبو تمّام يصف الربيع :

أضحت تصوغ بطونها لظهورها
نَوْراً تكاد له القلوب تَنَوَّر

د ـ أن يتجاوز مثلان متحركان في كلمتين ، مثل : جعل لي ، وكتب بالقلم ، فيجوز الإدغام بإسكان المثل الأول ، فتقل : جعلْ لي وكتبْ بالقلم ، غير أن الإدغام يجوز هنا لفظاً لا خطاً .

٣ ـ امتناع الادغام :

وذلك في سبعة مواضع :

آ ـ أن يتصدر المثلان كدَدَن ، أي : لعب .

ب ـ أن يكونا في اسم على وزن فُعَل (بضم ففتح) كدُرَر ، أو فُعُل (بضمتين) كسُرُر ، أو فِعَل (بكسر ففتح) كلِمَم ، أو فَعَل (بفتحتين) كطَلَل .

ج ـ أن يكون المثلان في وزن مزيد فيه للإلحاق كجلبب وهيلل .

د ـ أن يتصل بأول المثلين مدغم فيه ، كهلّل . وذلك لأن الإدغام الثاني بمثابة تكرّر الادغام ، وهو ممنوع .

هـ ــ أن يكون المثلان على وزن (أفعل) في التعجب ، نحو : أحْبِبْ بالعلم .

و ــ أن يعرض سكون أحد المثلين لاتصاله بضمير رفع متحرك كمددْتُ .

ز ــ أن يكون مما شذت العرب في فكه اختياراً ، وهي ألفاظ محفوظة تقدم ذكرها في مستهل البحث .

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾

اللغــة :

(مسفوحاً) : السفح : الصبّ ، وسفح يأتي لازماً ومتعــدياً ، يقال : سفح فلان دمعه ودمه أي : أهرقه ، إلا أن الفرق بينهما وقــع

باختلاف المصدر ، ففي المتعدي يقال : سفحاً ، وفي اللازم يقال : سفوحاً، وفي هذه الآية وقع متعدياً لأن اسم المفعول لا يبنى إلا من متعدٍّ ، ومن اللازم ما أنشده أبو عبيدة لكثيّر عزة :

أقول ودمعي واكفٌ عند رسمها
عليك سلام الله والدمع يسفح

ومن المجاز في هذه المادة : وبينهم سفاح : أي قتال أو معاقرة ، لأنهم يتسافحون الدماء ، وسافحها مسافحة زاناها ، لأن كلاًّ منهما يسفح ماءه ويضيعه . ومن أقوالهم : « في النكاح غنية عن السفاح » . وقد مر ذكر هذه المادة وخصائص اجتماع السين والفاء فاء وعيناً للكلمة .

(الحوايا) : الأمعاء والمصارين .

الاعراب :

(قل : لا أجد فيما أوحي إلي محرّماً على طاعم يطعمه) كلام مستأنف مسوق لبيان ما حرمه الله تعالى عليهم ، وجملة لا أجد مقول القول ، وفيما جار ومجرور متعلقان بأجد ، وجملة أوحي إليّ لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإليّ جار ومجرور في موضع رفع على أنه نائب فاعل أوحي ، ومحرماً مفعول به لأجد ، أي : شيئاً محرماً ، وعلى طاعم جار ومجرور متعلقان بمحرّم ، وجملة يطعمه صفة لطاعم (إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير) الاستثناء متصل ، لأنه استثناء من الجنس ، وموضعه نصب ، ويجوز أن يكون استثناء

منقطعاً . لأنه كون وما قبله عين ، وموضعه نصب أيضاً ، وميتة خبر يكون . واسمها مستتر يعود على قوله : « محرماً » وجملة الاستثناء نصب على الحال ، ودماً منسوق على ميتة ، ومسفوحاً صفة ، أي : سائلاً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال ، وأو لحم خنزير معطوف عطف نسق أيضاً (فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به) الفاء للتعليل ، وإن واسمها ، ورجس خبرها ، وأو حرف عطف ، وفسقاً معطوف عطف نسق على لحم خنزير ، وجملة أهل صفة ، وأهل فعل ماض ، ولغير الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وبه جار ومجرور متعلقان بأهل ، وجملة « فإنه رجس » تعليلية لا محل لها (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ، واضطر فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط ، والجواب محذوف ، أي : فلا مؤاخذة عليه . ومعنى اضطر أصابته الضرورة الداعية إلى تناول شيء مما ذكر ، وغير باغ حال ، أي : غير ظالم . ولا عاد عطف على باغ ، أي غير معتد . وقد سبق تحقيق كلام مماثل له في سورة البقرة . والفاء تعليلية وإن واسمها ، وغفور خبر أول ، ورحيم خبر ثان ، وجملة فعل الشرط وجوابه خبر « من » (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) كلام مستأنف مسوق لبيان سبب تحريم كل ذي ظفر على اليهود لظلمهم ، وقد تقدم تحقيق ذلك في سورة البقرة ، وليشمل كل ذي ظفر ، وهو النعامة والبعير ونحو ذلك من الدواب ، وكل ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم والطير . مثل البعير والنعامة والأوز والبط . وعلى الذين جار ومجرور متعلقان بحرمنا ، وهادوا فعل وفاعل ، وحرمنا فعل وفاعل أيضاً ، وكل مفعول به ، وذي مضاف إليه ، وظفر مجرور بإضافة « ذي » إليه (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) الواو عاطفة ، ومن البقر

جار ومجرور متعلقان بحرمنا والغنم عطف على البقر ، وعليهم جار ومجرور متعلقان بحرمنا ، وشحومهما مفعول به ، والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه ، وكل شيء منه ، وترك البقر والغنم على التحليل ، ولم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة ، وهي الثروب ، أي : الشحوم الرقيقة التي تغشى الكرش والأمعاء وشحم الكلى . جمع كلية أو كلوة ، بضم الكاف فيهما . (إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم) إلا أداة استثناء ، وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء المتصل من الشحوم ، وجملة الاستثناء حالية ، وجملة حملت لا محل لها لأنها صلة ، وأو حرف عطف والحوايا عطف على ظهورهما ، أو ما اختلط بعظم أو حرف عطف ، وما اسم موصول معطوف على ظهورهما ، واختلط فعل ماض وفاعله هو ، وبعظم جار ومجرور متعلقان باختلط (ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة لبيان علة التحريم ، وذلك اسم الاشارة مبتدأ ، وجملة جزيناهم خبر ، وببغيهم جار ومجرور متعلقان بجزيناهم ، ولا بد من تقدير ضمير ، أي : جزيناهم به ، بسبب بغيهم . وسيأتي مزيد من إعراب هذا التعبير . والواو استئنافية أو حالية ، وإن واسمها . واللام المزحلقة ، وصادقون خبر إن .

الفوائد :

قال أبو البقاء : « ذلك في موضع نصب بجزيناهم ، وقيل : مبتدأ ، والتقدير جزيناهموه ، وقيل : هو خبر لمحذوف ، أي الأمر ذلك » ويلاحظ أن أبا البقاء لم يبيّن على أي شيء انتصب ؟ هل على المصدر أو على المفعول به ؟ وقال الزمخشري : « ذلك الجزاء جزيناهم ، وهو

تحريم الطيبـات » : وظاهره أنه منتصب انتصاب المصدر • وقـال أبو حيّان : « وزعم ابن مالك أن اسم الاشارة لا ينتصب مشاراً به الى المصدر إلا وأتبع بالمصدر ، فتقول : قمت هذا القيام ، وقعدت ذلك القعود • ولا يجوز قمت هـذا ، ولا قعد ذلك » فعـلى هذا لا يصح انتصاب « ذلك » على أنه إشارة الى المصدر • قلت : وذهب سيبويه والجمهور الى أن ذلك لا يشترط ، ومن كلام العرب : « ظننت ذلك » ، يشيرون به الى الظن •

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الاعراب :

(فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) الفاء استئنافية ، وإن شرطية ، وكذبوك فعل وفاعل ومفعول به ، وهو في محل جزم فعـل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وقل فعل أمر ، وربكم مبتدأ

مرفوع ؛ وذو رحمة خبر ، وواسعة صفة لرحمة ، والجملة في محل نصب مقول القول ، وجملة القول وما في حيزه في محل جزم جواب الشرط (ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين) الواو عاطفة ، والجملة معطوفة على الجملة الاسمية داخلة في حيز القول ، ويرد فعل مضارع مبني للمجهول ، وبأسه نائب فاعل ، وعن القوم جار ومجرور متعلقان بيرد ، والمجرمين نعت للقوم ، (سيقول الذين أشركوا : لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بما يصدر عنهم من قول . والسين حرف استقبال ، ويقول فعل مضارع ، والذين فاعل، وجملة أشركوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة لو شاء الله في محل نصب مقول القول ، ولو شرطية ، وشاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف ، أي : لو شاء عدم إشراكنا ، وقد تقدمت له نظائر . ولا آباؤنا عطف على الضمير في أشركنا ، وجاز العطف لوجود « لا » (ولا حرمنا من شيء) عطف على ما أشركنا ، ومن زائدة في المفعول به (كذلك كذب الذين من قبلهم) الكاف نعت لمصدر محذوف ، وقد تقدم ، أي : كذب الذين من قبلهم تكذيباً مثل ذلك التكذيب (حتى ذاقوا بأسنا قل : هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) حتى حرف غاية وجر ، أي : استمروا على التكذيب حتى ذاقوا ، وبأسنا مفعول به ، وهل حرف استفهام ، والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ومن زائدة في المبتدأ المؤخر ، والجملة مقول القول . والفاء فاء السببية ، وتخرجوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها ، والواو فاعل ، والهاء مفعول به ، ولنا جار ومجرور متعلقان بتخرجوه (إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) الجملة استئنافية ، وإن نافية ، وتتبعون فعل مضارع مرفوع ، والواو فاعل ، وإلا أداة حصر ،

والظن مفعول به ، وإن الواو عاطفة ، وإن نافية ، وأنتم مبتدأ ، وإلا أداة حصر ، وجملة تخرصون خبر أنتم .

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠) ﴾

الاعراب :

(قل فلله الحجة البالغة) جملة القول مستأنفة ، والفاء هي الفصيحة ، لأنها أفصحت عن شرط مقدر ، أي قل : فإن لم تكن لكم حجة فلله الحجة البالغة ، ولله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، والحجة مبتدأ مؤخر ، والبالغة صفة ، أي : التي بلغت غاية النهاية والوضوح ، وقطعت كل عذر للمحجوج والجملة مقول القول (فلو شاء لهداكم أجمعين) الفاء عاطفة ، ولو شرطية ، وشاء فعل وفاعل مستتر ، والمفعول به محذوف ، أي : هدايتكم ، واللام واقعة في جواب لو ، وهداكم فعل وفاعل مستتر ، ومفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، وأجمعين تأكيد للضمير ، وسيأتي حكم التأكيد بأجمع في باب الفوائد (قل : هلم شهداءكم الذين

يشهدون أن الله حرّم هذا) الجملة مستأنفة ، وقل فعل أمر ، وهلم اسم فعل أمر ، وسيأتي بحث عنها في باب الفوائد ، وشهداءكم مفعول به ، فان اسم الفعل يعمل عمل مسماه من تعد ولزوم ، والذين صفة ، وجملة يشهدون صلة، وأن الله أن واسمها في محل نصب بنزع الخافض، وجملة حرم هذا خبر أن (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) الفاء عاطفة ، وإن شرطية ، وشهدوا فعل ماض ، والواو فاعل ، وهو في محل جزم فعل الشرط ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا ناهية ، وتشهد فعل مضارع مجزوم بلا ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، ومعهم ظرف مكان متعلق بتشهد (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا ، وأهواء مفعول به ، والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة ، وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا والجملة صلة (والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون) الواو عاطفة ، والذين عطف على اسم الموصول المتقدم ، والغرض تعداد صفاتهم القبيحة . والمعنى : ولا تتّبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة والإشراك به . وجملة لا يؤمنون صلة الموصول ، وبالآخرة جار ومجرور متعلقان بيؤمنون ، والواو حرف عطف ، وهم مبتدأ ، وجملة يعدلون خبره ؛ وبربهم جار ومجرور متعلقان بيعدلون .

البلاغة :

في إطلاق اسم الشهادة على التسليم لهم وموافقتهم وتصديقهم في الشهادة الباطلة ، استعارة تصريحية تبعية ويصح أن يكون مجازاً مرسلاً من إطلاق اللازم وإرادة الملزوم لأن الشهادة من لوازم التسليم .

الفوائد :

إذا أريد تقوية التوكيد يؤتى بكلمة « أجمع » بعد كلمة « كله »، وبعد كلمة « كلها » بكلمة « جمعاء » ، وبعد كلمة « كلهم » بكلمة « أجمعين » ، وبعد كلمة « كلهنّ » بكلمة « جُمَع » ، تقول : جاء الصفّ كله أجمع ، وجاءت القبيلة كلها جمعاء ، وقال تعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » ، وجاءت النساء كلهن جمع . وقد يؤكد بأجمع وجمعاء وأجمعين وجمع وإن لم يتقدمهن لفظ « كلّ » ، ومنه قوله تعالى : « لأغوينهم أجمعين » .

هذا ، ولا يجوز تثنية أجمع وجمعاء ، استغناء عن ذلك بلفظي : كلا وكلتا . قال ابن مالك في ألفيته مجملاً قاعدة أجمع :

وبعد كل أكدوا بأجمعا ... جمعاء أجمعين ثم جمعا

ودون كل قد يجيء أجمع ... جمعاء أجمعون ثم جمع

هلمّ : كلمة بمعنى الدعاء إلى الشيء ، فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية ، نحو : هلم شهداءكم ، أي : أحضروهم ، وهي من أسماء الأفعال ، يستوي فيها الواحد والجمع ، والتذكير والتأنيث ، ويصرفونها بأن يجعلوها فعلاً ويلحقوها الضمائر ، فيقولون في المثنى : هلما ، وفي المؤنث : هلمي ، وفي الجمع للذكور : هلموا ، وللنساء : هلممن والأول أفصح . وقد توصل باللام ، فيقال : هلمّ لك ، كقولهم : هيت لك . وقد تلحقها نون التوكيد الثقيلة ، فيقال : هلمَّنَّ يا رجل ، وهلمِنّ يا امرأة ، وهلمّانّ يارجلان ، ويا امرأتان ، وهلمُّنّ يارجال، وهلمنانّ يا نسوة .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) ﴾

اللغة :

(تعال) من الخاصّ الذي صار عاماً ، وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ، ثم كثر واتسع حتى عم . وهو فعل أمر مفتوح الآخر دائماً ، ومن ثم لحنوا أبا فراس الحمداني بقوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي

الاعراب :

(قل : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) كلام مستأنف مسوق لأمره صلى الله عليه وسلم بأن يتلو عليهم ما حرم ربهم عليهم حقيقة لا ظناً ، ويقيناً لا حدساً . وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول ، وهو فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، وأتل فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وابن هشام يؤثر أن يقال : إنه جواب الشرط مقدّر ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة

حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول ، والعائد محذوف ، أي : الذي حرّمه . ويجوز أن تكون « ما » مصدرية ، أي : اتل تحريم ربكم . والتحريم لا يتلى ، ولكنه مصدر واقع موقع المفعول به . وربكم فاعل حرم ، وعليكم جار ومجرور متعلقان بحرم أو بأتل ، على أن المسألة من باب التنازع (أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) في « أن » أوجه عديدة ، والمختار منها وجهان : أولهما أنها مفسرة ، لأنه تقدمها ما هو معنى القول دون حروفه ، ولا ناهية ، وتشركوا فعل مضارع مجزوم بها ، والجملة لا محل لها لأنها مفسّرة . والوجه الثاني أنها مصدرية ، وهي وما في حيزها بدل من « ما حرم » ، وبه جار ومجرور متعلقان بتشركوا ، وشيئاً مفعول به أو بمعنى المصدر ، فهي مفعول مطلق . وقد تقدمت الإشارة إلى مثيله . وبالوالدين جار ومجرور متعلقان بفعل المصدر المحذوف ، أي أحسنوا بالوالدين ، وإحساناً مفعول مطلق للفعل المحذوف ، وسيأتي بحث هام لابن هشام في إعراب هذه الآية في باب الفوائد (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، وأولادكم مفعول به ، ومن إملاق جار ومجرور متعلقان بتقتلوا ، أي : لأجل الإملاق ، فمن سببية ، ولم ينصب المفعول لأجله لاختلال شرطه ، لأن الإملاق مصدر غير قلبي ، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب البلاغة . ونحن مبتدأ وجملة نرزقكم خبر ، وجملة نحن نرزقكم مستأنفة لتعليل النهي قبله ، وإياهم عطف على الضمير في نرزقكم ، وقدم المخاطبين على ضمير الأولاد بعكس آية الإسراء لسرّ بلاغيّ ، سيأتي في باب البلاغة (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) الواو حرف عطف ، ولا ناهية ، وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والفواحش مفعول به ، وما اسم موصول في محل

نصب بدل من الفواحش ، وهو بدل اشتمال ، وجملة ظهر لا محل لها لأنها صلة الموصول ، ومنهـا جار ومجرور متعلقان بظهر ، وما بطن عطف على ما ظهر (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) عطف على ما تقدم ، داخل في حيزه ، لاستيفاء المحرمات ، وهي عشرة أشياء . ولا ناهية ، وتقتلوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والنفس مفعول به ، والتي اسم موصول في محل نصب صفة ، وجملة حرم الله لا محـل لها لأنها صلة الموصول ، وإلا أداة حصر ، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ، أي : لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق ، فالباء للملابسة ، وهي ومجرورها متعلقـان بمحذوف حـال من الواو في « تقتلوا » ويجوز أن يكون الاستثناء المفرّغ من الفعل نفسه ، فيكون الجار والمجرور مفعولاً مطلقاً ، أي : إلا القتل الملتبس بالحق : كالقود وحدّ الرّدّة ورجم المحصن (ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون) اسم الاشارة مبتدأ ، والجملة مستأنفة مسوقة للاشارة إلى ما تقدم ، وجملة وصاكم خبر ذلكم ، وبه جـار ومجرور متعلقـان بوصاكم ، ولعلكم تعقلون لعـل واسمها وخبرها ، وجملة الرجاء حالية ، أي : لعلكـم تستعملون عقولكـم التي تعقـل نفوسكم ، وتحبسها عن اجتراح هذه المنهيّات .

البلاغة :

اشتملت هذه الآية على أفانين عجيبة من البلاغـة ، تستلزم التطويل ، ولكنه التطويل غير المملول ، فحديث الجمال يطول ، وكلما طـال ازداد حسناً ، كالجمـال نفسه كلما أمعنت النظر فيه ازدادت معالم حسنه :

يزيدك وجهـه حسناً   إذا ما زدتـه نظـرا

١ ـ التوهيم :

فالفن الأول في هذه الآية هو فن التوهيم وقد سبقت الاشارة إليه في سورة « آل عمران » ، ونجدد العهد به هنا فنقول : هو أن يأتي المتكلم بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها ، وهو يريد غير ذلك ، وذلك في قوله : « أن لا تشركوا به شيئاً » . فإن ظاهر الكلام يدل على تحريم نفي الشرك ، وملزومه تحليل الشرك ، وهذا محال ، وخلاف المعنى المراد ، والتأويل الذي يحلّ الإشكال هو أن في الوصايا المذكورة في سياق الآية وما بعدها ما حرّم عليهم وما هم مأمورون به ؛ فإن الشرك بالله ، وقتل النفس المحرمة ، وأكل مال اليتيم ، مما حرّم ظاهراً وباطناً ، ووفاء الكيل والميزان بالقسط والعدل في القول ، فضلاً عن الفعل والوفاء بالعهد واتباع الصراط المستقيم من الأفعال المأمور بها أمر وجوب ، ولو جاء الكلام بغير « لا » لانبتر واختل وفسد معناه ، فإنه يصير المعنى حرّم عليكم الشرك ، والإحسان للوالدين ، وهذا ضد المعنى المراد . ولهذا جاءت الزيادة التي أوهم ظاهرها فساد المعنى ليلجأ إلى التأويل الذي يصح به عطف بقية الوصايا على ما تقدم .

٢ ـ التغاير :

والفنّ الثاني فيها هو التغاير ، وذلك في قوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق » . وحدّه تغاير المذهبين ، إما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً أو يذمه ، أو يذم ما مدحه غيره ، وبالعكس ، ويفضل شيئاً على شيء ، ثم يعود فيجعل المفضول فاضلاً . ومن التغاير

تغاير المعنى لمغايرة اللفظ ، مثل قوله : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » فإن ذلك غير قوله في هذا المعنى عينه في بني إسرائيل : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » فقدّم في آية « الأنعام » للفقراء بدليل قوله تعالى : « من إملاق » ، فاقتضت البلاغة تقديم وعدهم ـ أعني الآباء المملقين ـ بما يغنيهم من الرزق ، واقتضت البلاغة تكميل المعنى بعدة الأبناء بعد عدة الآباء ليكمل سكون الأنفس . وفي بني إسرائيل الخطاب للأغنياء ، بدليل قوله تعالى : « خشية إملاق » ، فإنه لا يخشى الفقر إلا الغني ، أما الفقير ففقره حاصل . فاقتضت البلاغة تقديم وعد الأبناء بالرزق ليشير هذا التقديم إلى أنه سبحانه هو الذي يرزق الأبناء ليزول ما توهم الأغنياء من أنهم بإنفاقهم على الأبناء يصيرون الى الفقر بعدِ الغنى ، ثم كمل هذا الطمأنينة بعدتهم بالرزق بعد عدة أبنائهم . فسبحان قائل هذا الكلام !

التّغاير في الشّعر العربيّ :

هذا وقد افتنّ الشعراء في هذا المعنى وتلاعبوا به وسلكوا به كل واد ، وسنورد لك فيما يلي طائفة مختارة مما تمّ به التغاير ، ومدح الشعراء ما هو مشتهر بالذّم ، وذمّوا ما من حقه المدح . وأول من أشار الى ذلك عنترة بن شداد الشاعر العبسي والفارس المشهور عندما اشتهى تقبيل السيوف لأنها التمعت كبارق ثغر من يهواها ، فقال بيتيه المشهورين :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل

منّي وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنها
لمعت كبارق ثغرك المتبسّم

وما أجمل قول أبي فراس الحمداني وقد سلك مسلكاً آخر فقال :

مسيءٌ محسنٌ طوراً وطوراً فما أدري عدوّي أم حبيبي
يقلّب مقلةً ويدير طرفاً به عُرف البريء من المريب
وبعض الظالمين وإن تناهى شهيُّ الظلم مغتفر الذنوب

وولع البحتريّ بهذا الفن فقال :

عيّرتني بالشيبْ من بدآته في عذاري بالهجر والإجتنابِ
لا تَرَيْهِ عاراً فما هو بالشيب ولكنه جِلاء الشبابِ
وبياضُ البازيّ أصدقُ حسناً إن تأمّلتَ من سواد الغراب

وقال في المعنى نفسه وأجاد :

عذلتنا في عشقها أمُّ عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق ؟
ورأت لِمّةً ألمّ بها الشّيب فريعت من ظلمة في شروقَ
ولعمري لولا الأقاحي لأبصرتُ أنيقَ الرياض غيرَ أنيق
ومزاجُ الصهباء بالماء أولى بصبوح مستحسَن وغَبُوق
وسوادُ العيون لو لم يكمّلْ ببياضٍ ما كان بالمَوْمُوق
أيُّ ليل يبهى بغير نجوم ؟ وسماء تندى بغير بُروق ؟

ووصف البحتري يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله حيث قال :

ولقد تأمّلتُ الفراقَ فلم أجد يوم الفراق على امرىء بطويلِ
قصرتْ مسافته على متزوّدٍ منه لدهر من صبابة وغليل

أما ابن الرومي فقد سما على المتقدمين والمتأخرين في ذمّ ماتواضع الناس على مدحه ، فقال يهجو البدر :

لو أراد الأديبُ أن يهجو البد رَ رماه بالخطةِ الشنعاء
قال : يا بدر أنت تغدر بالسا ري وتغري بزائر الحسناء
يعتريك المَحَاق في كل شهر فترى كالقُلامةَ الحَجْناء
نمشٌ في بياضٍ وجهك يحكي كلفاً فوق وجنة برصاء
لا لأجل المديح بل خِيفةَ الهجر أخذنا جوائز الخلفاء

وقال الشريف الرضي يهجو الشمس :

في خلقة الشمس وأخلاقها شتى عيوب ستة تذكر
رمداء عمشاء إذا أصبحت عمايء عند الليل لا تبصر
ويغتدي البدر لها كاسفاً وجرمه من جرمها أصغر
حرورها في القيظ لا يتّقى ودنؤها في القر مستحقر
وخلقها خلق الملول الذي ينكث للعهد ولا يبصر
ليست بحسناء وما حسن من يحسر منه الطرف إذ ينظر

ولو أردنا الاستفاضة لملأنا الكتاب كله من هذا الشعر المستطاب الفريد ، ولكن حسبنا من القلادة ما أحاط بالجيد .

٣ : المجاز المرسل :

في قوله تعالى : « من إملاق » فهو جار مجرى الكناية ، لأنه إذا خرج ماله من يده ركبه الفقر فاستعمل لفظ السبب في موضع المسبب ، قال في أساس البلاغة : « ومن المجاز أملق الدهر ماله : أذهبه وأخرجه من يده ، وأملق الرجل : أنفق ماله حتى افتقر ، ورجل مملِق . وقال أعرابي : قاتل الله النساء كيف يمتلقن العلل لكأنها تخرج من تحت أقدامهن ، أي : يستخرجنها » .

الفوائد :

لابن هشام كلام مطوّل في هذه الآية قال : « وقوله تعالى : « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً » فقيل : إن لا نافية ، وقيل : ناهية ، وقيل : زائدة ، والجميع محتمل . وحاصل القول في الآية أن « ما » خبرية بمعنى الذي ، منصوبة بـ « أتل » وحرم ربكم : صلة ، وعليكم متعلقة بحرم . هذا هو الظاهر . وأجاز الزجاج كون « ما » استفهامية منصوبة بحرم ، والجملة محكية بـ « أتل » لأنه بمعنى أقول ، ويجوز أن يعلق « عليكم » بـ بـ « أتل » ، ومن رجح إعمال أول المتنازعين ــ وهم الكوفيون ــ رجحه على تعلقه بحرّم . وفي أن وما بعدها أوجه : أن يكونا في موضع نصب بدلا من « ما » ، وذلك على أنهما موصولة لا استفهامية ، إذ لم يقترن البدل بهمزة الاستفهام . الثاني أن يكونا في موضع رفع خبر

لـ « هو » محذوفاً ، أجازهما بعض المعربين . وعليهما فـ « لا » زائدة ، قال ابن الشجري : والصواب أنها نافية على الأول ، وزائدة على الثاني. والثالث أن يكون الأصل : بيّن لكم ذلك لئلا تشركوا ، وذلك لأنهم إذا حرم عليهم رؤساؤهم ما أحله الله سبحانه تعالى فأطاعوهم أشركوا ، لأنهم جعلوا غير الله بمنزلته . والرابع أن الأصل : أوصيكم بأن لا تشركوا ، بدليل أن وبالوالدين إحساناً ، معناه وأوصيكم بالوالدين، وإن في آخر الآية « ذلكم وصّاكم به » ، وعلى هذين الوجهين فحذفت الجملة وحرف الجر.والخامس أن التقدير:«أتل عليكم أن لا تشركوا»، مدلولا عليه بما تقدم . وأجاز هذه الأوجه الثلاثة الزجاج . والسادس أن الكلام تم عند « حرم ربكم » ثم ابتدىء « عليكم أن لا تشركوا وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وأن لا تقتلوا ولا تقربوا » ، فعليكم على هذا اسم فعل بمعنى الزموا،و « أن » في الأوجه الستة مصدرية ، و « لا » في الأوجه الأربعة الأخيرة نافية . والسابع أنّ « أنْ » مفسرة بمعنى أي ، ولا ناهية ، والفعل مجزوم لا منصوب ، وكأنه قيل : أقول لكم لا تشركوا به شيئاً وأحسنوا بالوالدين إحساناً . وهذان الوجهان أجازهما ابن الشجري » . وقال ابن هشام في موضع آخر من المغني : « وأما قول بعضهم في : « قل تعالوا أتل ما حرم عليكم ربكم أن لا تشركوا به شيئاً » إن الوقف قبل « عليكم » ، وإن « عليكم » إغراء ، فحسن ، ويتخلص من إشكال ظاهر في الآية محوج للتأويل » .

وإنما أطلنا في الاقتباس لأن الآية كثر فيها الخوض ، فتدبر والله يعصمك .

﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ

أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

اللغة :

(الأشد) : يقال : بلغ فلان أشدّه : أي قوّته ، بمعنى الإدراك والبلوغ . وهو ما بين الثماني عشرة إلى الثلاثين من العمر ، وهو جمع لا واحد له. أو واحد جاء على بناء الجمع، هذا مايتلخص من القاموس. وقال غيره : « والأشدّ قيل : هو اسم مفرد لفظاً ومعنى.وقيل : هو اسم جمع . وعلى هذا فمفرده : شِدّة ، كنعمة ، أو شَدّ كَكلاب ، أو شُدّ كضر ، أقوال ثلاثة في مفرده » ويمكن أن يقال فيه : هو استحكام قوة الشباب والسنّ حتى يتناهى في الشباب إلى حد الرجال .

(الكيل) هي الآلـــة التي يكال فيهـــا ، وأصله مصدر أطلق على الآلة .

(الميزان) في الأصل : مفعال ، من الوزن ، وقد تقدم إعلاله في : ميثات ، بالبقرة ، من الوزن ، فأصله مصدر نقـل إلى الآلة . ومثله المصباح والمقياس ، لما يستصبح به ويقاس .

الاعراب :

(ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتقربوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، ومال اليتيم مفعوله ، وإلا أداة حصر ، وبالتي اسم الموصول نعت لمصدر محذوف ، والجار والمجرور متعلقان بتقربوا . أي : إلا بالخصلة التي هي أحسن . وهي مبتدأ ، وأحسن خبره ، والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وأتى بصيغة اسم التفضيل تنبيهاً على أن يتحرى في ذلك غاية التحرّي ويفعل الأحسن . وحتى حرف غاية وجر ، ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والجار والمجرور متعلقان بتقربوا ، وأشده مفعول به (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) الجملة معطوفة وأوفوا الكيل فعل وفاعل ومفعول به والميزان مفعول به معطوف على الكيل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل أوفوا ، أي : مقسطين عادلين ، ويجوز أن يكون حالاً من المفعول به ، أي : تامّين (لا نكلف نفساً إلا وسعها) الجملة معترضة بين المتعاطفين لا محل لها ، للتنبيه على أن أمر الكيل والميزان ومراعاة العدل فيهما يتطلب دقة ومغالبة للهوى . ولا نافية ، ونكلف فعل مضارع مرفوع ، ونفساً مفعول به ، وإلا أداة حصر ، ووسعها مفعول به ثان ، كأنه قيل : اعملوا كل مافي وسعكم وطاقتكم (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا) الواو عاطفة ، وإذا شرطية ظرفية ، وجملة قلتم في محل جر بالإضافة ، والفاء رابطة ، واعدلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو حالية ، ولو شرطية غير جازمة ، وكان فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر ، وذا قربى خبرها ، وبعهد الله جار ومجرور متعلقان بأوفوا ، وأوفوا فعل أمر

مبني على حذف النون (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) تقدم إعراب نظيرها (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) عطف على ما تقدم ، وأن واسمها ، وصراطي خبرها ، ومستقيماً حال مؤكدة من صراطي ، والعامل فيها معنى الإشارة ، والفاء الفصيحة ، واتبعوه فعل أمر وفاعل ومفعوله، والجملة لامحل لها ، والمعنى إذا أردتم الفوز والنجاة من مهاوي البدع ومساقط الضلالات . واتبعوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها (ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتتبعوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل ، والسبل مفعول به ، فتفرّق الفاء السببية ، وتفرق أصله تتفرق فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب النهي ، وبكم جار ومجرور متعلقان بتفرق ، وعن سبيله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : متنائية عن سبيله . (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) تقدم إعرابها .

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ

أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

اللغة :

(دراستهم) : مصدر درس العلم ، من باب قتل ، ودرساً أيضاً ، وهذا المعنى هو المراد هنا . ولهذه المادة معان عجيبة ، يقال : درس الحنطة دِراساً : داسها . ودرس الناقة راضها وأذلها . ورجل مدرّس ودرس الكتاب للحفظ كرّر قراءته ، درساً ودراسة . ودرس المرأة نكحها . ودرست المرأة حاضت . ودرس الثوب : أخلق ، فهو درس ودَريس . وبسط دريساً أي : ثوباً وبساطاً خلقاً . وقتل رجل في مجلس النعمان بن المنذر رجلاً فأمر بقتله ، فقال الرجل : أيقتل الملك جاره ؟ ويضيع ذماره ؟ قال : نعم إذا قتل جليسه ، وخضب دريسه . أي : بساطه . وطريق مدروس : كثر مشي الناس فيه حتى ذلّلوه . وربع دارس ومدروس . فأنت ترى أنها تشير الى معنى الرياضة والتذليل والتعبيد بجميع معانيها ، وهذا من الدقة بمكان .

(صدف) : أعرض ، ويستعمل لازماً في الأكثر ، وقد استعمل هنا لازماً . وفي القاموس : صدف عنه : أعرض ، وبابه ضرب أو جلس ، وصدف فلاناً : صرفه كأصدفة ، ومن هنا يتبين الخطأ في استعمال صدفة بمعنى المصادفة .

الاعراب :

(ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكلّ شيء) الأصل في ثم أن تكون للترتيب مع المهلة والتراخي في الزمان ، ومن ثم توقف المفسرون والنحاة في حقيقة العطف بها هنا ، ولم أجد فيما قالوه مقنعاً ، وسأنقل ما قالوه أولاً ثم أشير الى ما هو أولى بالأرجحية . فقال بعضهم : إن « ثمّ » تأتي للترتيب في الإخبار ، كأن هذا القائل أراد تفادي سبق موسى عليه السلام في الزمان . وزعم الأخفش : أن « ثم » قد تتخلف عن التراخي ، بدليل قولك : أعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمسِ أعجبُ . لأن « ثم » في ذلك لترتيب الإخبار ولا تراخي بين الإخبارين . وجعل ابن مالك من ذلك قوله تعالى : « ثم آتينا موسى الكتاب » وقال في المغني : « والظاهر أن « ثمّ » واقعة موقع الفاء » وقد نصّ النحاة على أن « ثم » توضع موضع الفاء كقول أبي دؤاد جارية بن الحجاج :

كهزّ الرّديني تحت العجاج جرى في الأنابيب ثم اضطرب

وقال الزّجّاج : هو معطوف على« أتلُ »، تقديره : أتل ما حرّم ثم أتل ما آتينا .

وقال الزمخشري : « فإن قلت : علام عطف قوله : « ثم آتينا موسى الكتاب » ؟ قلت : على « وصّاكم به » . فإن قلت : كيف صحّ عطفه عليه بـ « ثم »والإيتاء قبل التوصية بزمن طويل ؟ قلت : هذه التوصية قديمة ، ولم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم ، فكأنه قيل : ذلكم وصّيناكم به يا بني آدم قديماً وحديثاً ، ثم أعظم من ذلك أنّا آتينا

موسى الكتاب . ولعل هذا أقرب ما يقال فيه . وآتينا موسى الكتاب فعل وفاعل ومفعولاه ، وتماماً مفعول لأجله ، أي : لأجل تمام النعمة والكرامة ، ويجوز أن يكون مصدراً نصب على المفعولية المطلقة ، لأنه بمعنى آتيناه إيتاء تمام لا نقصان ، أو مصدراً نصب على الحالية من فاعل آتينا ، أي : متممين ، أو من الكتاب ، أي : حال كونه تماماً . وعلى الذي جارومجرور متعلقان بـ « تماماً » ، أي : على من أحسن القيام به ؛ وجملة أحسن صلة لا محل لها ، وتفصيلاً عطف على « تماماً » ، ولكل شيء جار ومجرور متعلقان بـ « تفصيلاً » (وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) هدي ورحمة معطوفان على تماماً وتفصيلاً ، ولعل واسمها ، وجملة الرجاء حالية ، وبلقاء ربهم جار ومجرور متعلقان بيؤمنون ، وجملة يؤمنون خبر لعل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لتعظيم شأن القرآن ، وهذا مبتدأ ، وكتاب خبره ، وجملة أنزلناه صفة أولى ، ومبارك صفة ثانية ، فاتبعوه الفاء الفصيحة ، أي : إذا أردتم أن تنتفعوا ببركته ، فهي لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ، واتقوا عطف على فاتبعوه ، وجملة الرجاء حالية (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول لأجله ؛ على حذف مضاف ، أي : كراهية أن تقولوا ، وإنما كافة ومكفوفة ؛ وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ، والكتاب نائب فاعل ، وعلى طائفتين جار ومجرور متعلقان بأنزل ، والمراد بهما اليهود والنصارى ، والجملة في محل نصب مقول القول ، ومن قبلنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفتين (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) الواو حالية ، وإن مخففة من الثقيلة ، وهي مهملة ، وقد تقدم بحثها ، وكان واسمها ، وعن

دراستهم جار ومجرور متعلقان بغافلين ، واللام هي الفارقة بين إن المخففة وإن النافية ، وغافلين خبر كنا (أو تقولوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم) عطف على أن تقولوا ، ولو شرطية ، وأن واسمها ، وجملة أنزل علينا الكتاب خبرها ، والكتاب نائب فاعل ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأنزل ، واللام واقعة في جواب لو ، وكان واسمها ، وأهدى خبرها ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بأهدى (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) الفاء الفصيحة ، لأنها جواب محذوف معلل به ، أي : لا تعتذروا فقد فاتتكم أسباب العذر . فقد جاءكم : قد حرف تحقيق ، وجاءكم فعل ومفعول به مقدم وبينة فاعل ، ويجوز أن يكون المحذوف شرطاً ، أي : إذا صدقتم فيما تمنون به أنفسكم من وعود مزيفة وأحلام طائشة ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبينة أو بجاءكم ، وهدى ورحمة معطوفان على بينة ، وكلا الوجهين جميل سائغ (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) الفاء عاطفة لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، فإن نزول القرآن ـ مشتملاً على جميع عوامل الهدى والرحمة ـ يقتضي أن يكون من يكذب به ويشيح بوجهه عنه أظلم الناس . ومن استفهامية متضمنة معنى النفي ، أي : لا أحد ، وهي في محل رفع مبتدأ ، وأظلم خبر ، وممن جار ومجرور متعلقان بأظلم ، وجملة كذب صلة الموصول ، وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بكذّب ، وصدف عنها عطف على كذب (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) الجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجزاء المترتب على هذا الموقف المتعنت ، ونجزي فعل مضارع ، وفاعله مستتر ، والذين مفعوله ، وجملة يصدفون صلة الموصول ، وسوء العذاب منصوب على أنه مفعول به ثان لنجزي ، أو منصوب بنزع الخافض ، وإضافة السوء الى العذاب من إضافة الصفة

للموصوف ، أي : العذاب السيىء (بما كانوا يصدفون) الباء حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء ، والجار والمجرور متعلقان بنجزي ، وكان واسمها ، وجملة يصدفون خبرها ، أي : بسبب صدوفهم وإعراضهم •

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

الاعراب :

(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) الجملة مستأنفة مسوقة لاستبعاد تأتّي الإيمان منهم ، وهل حرف استفهام متضمن معنى النفي ، لأنهم كانوا بمثابة المنتظرين لذلك ، وينظرون فعل مضارع مرفوع ، والواو فاعل ، وإلا أداة حصر ، وأن تأتيهم الملائكة مصدر مؤول مستثنى مفرّغ ، فهو في محل نصب مفعول به ، وأو حرف عطف ، ويأتي ربك عطف على تأتيهم الملائكة ، وأو يأتي بعض آيات ربك عطف أيضاً ، والمعنى أنهم ينتظرون أن يأتي كل آيات ربك أو بعضها لتنبئهم بالساعة (يوم يأتي بعض آيات ربك

لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) الظرف متعلق بقوله لا ينفع ، وجملة يأتي بعض آيات ربك في محل جر بالإضافة ، ولا نافية ، وينفع نفساً إيمانها فعل ومفعول به وفاعل ، وجملة لم تكن آمنت صفة لـ « نفساً » ، وجاز الفصل بين الموصوف وصفته لأن الفاعل ليس بأجنبي ، والجملة يجوز أن تكون مستأنفة أو حالية ، ومن قبل جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجملة آمنت خبر تكن ، وأو حرف عطف ، وكسبت عطف على آمنت ، وخيراً مفعول به (قل انتظروا إنا منتظرون) الجملة مستأنفة ، مسوقة لتهديدهم . وجملة انتظروا في محل نصب مقول القول ، والأمر هنا للوعيد ، وحذف المفعول به المنتظر لزيادة التخويف والترويع ، كأن أكبر من أن يدخل في حدود الحدس والتخمين ، والنفس أرهب من المجهول . وإنا منتظرون إن واسمها وخبرها ، والجملة مستأنفة أيضاً ، مسوقة لمقابلة انتظارهم بمثله .

البلاغة :

في الآية لف ، وقد تقدم الحديث عن اللف والنشر . وأصل الكلام : يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة من قبل إيمانها بعد ولا نفساً لم تكسب في إيمانها خيراً قبل ما تكسبه من الخير بعد . إلا أنه لف الكلامين فجعلهما كلاماً واحداً إيثاراً للبلاغة والإعجاز ، ولم يعقب عليه بالنشر لأن المآل واحد ، وهو معروف لكليهما .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ

أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾

الاعراب :

(إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) كلام مستأنف مسوق للحث على الوحدة التي أمر الله بها، والنهي عن التفرقة. وإن واسمها ، وجملة فرقوا صلة الموصول ، ودينهم مفعول به ، وجملة وكانوا عطف على جملة الصلة ، وشيعاً خبر كانوا ، وجملة لست خبر إن ، وليس واسمها ، ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لتمام الفائدة به ، وفي شيء جار ومجرور متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به منهم ، أي : لست مستقراً منهم في شيء ، ويجوز أن يكون في شيء هو الخبر ومنهم حال مقدمة عليه (إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن مردّ الأمور الى الله تعالى . وإنما كافة ومكفوفة ، وأمرهم مبتدأ ، والى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، وثم حرف عطف ، وينبئهم فعل مضارع ، والهاء مفعوله ، وبما الجار والمجرور في موضع نصب على أنه المفعول الثاني ، وجملة كانوا صلة « ما » ، وجملة يفعلون خبر كانوا (من جاء

بالحسنة فله عشر أمثالها) كلام مستأنف مسوق لبيان أجر العاملين ؛ والتقيد بالعشرة لأنه أقل مراتب التضعيف ، وإلا فالجزاء لا يحصى . ومن اسم شرط جازم مبتدأ ، وجاء فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبالحسنة جار ومجرور متعلقان بجاء ، والفاء رابطة لجواب الشرط ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وعشر مبتدأ مؤخر ، وأمثالها مضاف إليه . ويلاحظ أن « عشر » لم تراع فيها القاعدة وهي معاكسة المعدود إذا أفردت ، وسنتكلم عن ذلك في باب الفوائد (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) عطف على ما تقدم ، وإلا أداة حصر ، ومثلها مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (وهم لا يظلمون) الواو حرف عطف ، وهم مبتدأ ، ولا نافية ، ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول ، والواو نائب فاعل ، والجملة خبر « هم » (قل : إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) الجملة مستأنفة لتكرير ما يجب فعله وقوله . وإن واسمها ، وجملة هداني خبرها ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ، وإلى صراط جار ومجرور متعلقان بهداني على أنه مفعول به ثان (ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) ديناً نصب على البدل من محل « إلى صراط » ، لأن معناه : هداني صراطاً ، وهدى كما قلنا سابقاً يتعدى تارة ب « إلى » كما هنا وتارة بنفسه كما في قوله : « ويهديكم صراطاً مستقيماً » ويجوز أن يكون نصباً على المصدرية ، أي : هداني هداية دين قيم . ولا أدري كيف ساغ أبو البقاء أن يعرب « ديناً » مفعولاً ثانياً ، مع أن المفعول الثاني هو « إلى صراط » ، وقيماً صفة ، أي : مستقيماً . وملة إبراهيم بدل من ديناً ، وحنيفاً حال من إبراهيم ، وما الواو عاطفة ، وما نافية ، وكان واسمها المستتر ، ومن المشركين

جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والجملة معطوفة على الحال ، فهي حال بعد حال .

الفوائد :

تذكير العدد وتأنيثه :

إنما ذكّر العدد والمعدود مذكّر لأوجه :

١ ــ إن الإضافة لها تأثير كما تقدم ، فاكتسب المذكر من المؤنث التأنيث ، فأعطي حكم المؤنث في سقوط التاء من عدده ، ولذلك يؤنث فعله في حال إضافته ، نحو : « يلتقطه بعض السيارة » وقال قيس :

وما حب الديــار شغفن قلبي ــــ ولكن حب من سكن الــديار

٢ ــ إن هــذا المذكر عبارة عن مؤنث ، فروعي المراد منه دون اللفظ ، فالمعتبر في التذكير والتأنيث حال الموصوف المنوي لا حالها ، والتقدير : فله عشر حسنات أمثالها ، ثم حذف الموصوف ، وأقيست صفته مقامه ، وترك العدد على حاله .

٣ ــ انه اقترن باللفظ ما يعضد المعنى المراد وهو التأنيث ، وعلى هذا يحمل قول عمر بن أبي ربيعة :

فكان مجني دون من كنت أتقي ــــ ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وكان القياس فيه : ثلاثة شخوص ، ولكنه كنّى بالشخوص عن

النساء . والذي سهل ذلك قوله : كاعبان ومعصر ، أي : هن كاعبان ومعصر .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

اللغة :

(النسك) : بتثليث النون وسكون السين ، وبضم النون والسين، ومثله النسوك والنَّسْكة والمنسكة : التزهّد والتعبّد والتقشف . والناسك : العابد المتزهّد ، ويجمع على نسّاك ؛ قال أبو العلاء :

صم ثمّ صلّ وطف بمكـــة زائراً
سبعـــين لا سبعـــاً فلست بناسك

جهـل الـــديانة مَنْ إذا عرضت له
أطماعـــه لـــم يلف بالمتماسك

(خلائف الأرض) الإضافة على معنى « في » والخلائف جمع خليفة ، كصحيفة وصحائف ، فهو من باب قوله :

والمـدّ زيد ثالثاً في الواحـد   همزاً يرى في مثـل كالقلائد

وقد تقدم ذكر الخليفة في البقرة .

الاعراب :

(قـل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) استئناف مسوق لتأكيد القيام بالشرائع الأصولية والفرعية . وجملة إن وما بعدها في محل نصب مقول القول ، وان واسمها ، ونسكي ومحياي ومماتي معطوفة ، وسيأتي حكم المنادى المضاف الى ياء المتكلم في باب الفوائد ، ولله جـار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ورب صفة ، والعالمين مضاف إليه لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، وقد تقدم في الفاتحـة (لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) لا النافية للجنس ، وشريك اسمها ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، والجملة حالية من رب العالمين أو صفة له ، والواو حرف عطف ، وبذلك جار ومجرور متعلقان بأمرت ، وأنا الواو عاطفة أيضاً ، وأنا مبتدأ ،

وأول المسلمين خبره (قل أغير الله أبغي رباً) الجملة مستأنفة مسوقة لتكون رداً على دعوة هؤلاء الكفار عندما قالوا له : ارجع الى ديننا وعبادة آلهتنا • والهمزة للاستفهام المتضمن معنى النفي ، أي : لا أطلب رباً غيره ، وغير الله مفعول به مقدم ، ورباً تمييز ، ويجوز إعرابه حالاً (وهو رب كل شيء) الواو للحال ، وهو مبتدأ ، ورب كل شيء خبره ، والجملة نصب على الحال (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) الواو عاطفة ، ولا نافية ، وتكسب كل نفس فعل وفاعل ومضاف إليه ، وإلا أداة حصر ، وعليها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي : إلا حالة كون ذنبها مستعلياً عليها بما يضرها ولا ينفعها (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الواو عاطفة أيضاً ، ولا نافية أيضاً ، وتزر وازرة فعل مضارع وفاعل ، ووزر مفعول به ، وأخرى مضاف إليه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ثم حرف عطف ، والى ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، ومرجعكم مبتدأ مؤخر ، والفاء حرف عطف ، وينبئكم فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ، والباء حرف جر للسببية ، وما اسم موصول في محل جر بالباء ، والجار والمجرور في موضع المفعول الثاني ، وجملة كنتم صلة الموصول ، وكان واسمها ، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون ، وجملة تختلفون خبر كنتم (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) الواو عاطفة ، وهو مبتدأ ، والذي خبره ، وجملة جعلكم صلة ، وخلائف الأرض مفعول به ثان لجعلكم (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) الواو عاطفة ، ورفع فعل ماض ، وبعضكم مفعول به ، وفوق بعض ظرف مكان متعلق برفع ، ودرجات ظرف ، وقد تقدم إعرابها والقول فيها (ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) اللام للتعليل ، ويبلوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام ، والجار والمجرور متعلقان برفع ،

وفيما جار ومجرور متعلقان بيبلوكم ، وجملة آتاكم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وإن واسمها ، وسريع العقاب خبرها ، والجملة مستأنفة للتعليل ، وإنه لغفور رحيم عطف على ما تقدم ، وقد تقدم إعراب ذلك كثيراً .

البلاغة :

الكناية في قوله : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » عن الشرف والفضل ، وهذا التفاوت ليس ناشئاً عن عجز عن المساواة بينهم ولكن للابتلاء والامتحان .

الفوائد :

المضاف الى ياء المتكلم :

يجب كسر آخر المضاف الى ياء المتكلم لمناسبة الياء ويجوز فتح الياء وإسكانها ، ويستثنى من ذلك المقصور والمنقوص والمثنى وجمع المذكر السالم ، فهذه الأربعة آخرها واجب السكون والياء معها واجبة الفتح ، قال في الخلاصة :

آخر ما يضاف للياء اكسر إذا ... لم يك معتلا كرام وقذى

أو يك كابنين وزيدين ففي ... جميعها اليا بعد فتحها احتذي

وندر إسكانها بعد الألف .

حملة على أبي العلاء المعري :

وقد قرأ نافع : محياي ومماتي ، في الوصل بسكون ياء «محياي» كما ندر كسرها بعد الألف ، وقد قرأ الأعمش والحسن البصري : « هي عصاي » بكسر الياء ، على أصل التقاء الساكنين ، والكسر مطرد في لغة بني يربوع في الياء المضاف إليها جمع المذكر السالم ، وعليه قراءة حمزة والأعمش : « وما أنتم بمصرخيِّ » بكسر الياء ، وبذلك سقط ما قاله المعري في رسالته : « أجمع أصحاب العربية على كراهة قراءة حمزة » • وقد رد عليه ابن هشام فقال : « والمعري له قصد في الطعن على الاسلام ، ولعل الذين كسروا لغتهم على إسكان ياء الإضافة فالتقى معهم ساكنان » • وقال المرادي في شرح التسهيل : « إن المعري لم ينفرد بما قاله في رسالته ، فما قاله ابن هشام تحامل عليه وإن كان قد رمي بالإلحاد » •

بين أبي العلاء والنحاة :

ونرى من المفيد أن نعرض لهذه الخصومة التي اشتجرت بين أبي العلاء والنحاة ، فأبو العلاء كان نحوياً ولكنه لم يرد أن يكون نحوياً . وكان إماماً من أئمة النحو ، ولكن أسلوب النحو لم يرضه ، فنقدهم نقداً مراً ، وتهكم بإمامهم سيبويه ، وتعرّض له بالنقد والتخطئة في مواضع من رسائله ، مما لا يتسع له المجـال في كتابنا ، فاكتفينا بالإشارة • وسيأتي في هذا الكتاب المزيد من هذه الخصومة •